

**سلامُ الغيم**

**"نصوص مكان"**



# سلاّمُ الفيم

" نصوص مكان "

مخالد بركات

2016

امانة  
عقمان  
الكبرى  
مديرية الثقافة



المملكة الأردنية الهاشمية  
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية  
2016/2/572

ISBN 978-9957-530-76-1 (ردمك)

الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر عن رأي الجهة الداعمة

أمانة  
عمّان  
الكبرى  
مدرسة الشافعية



التصميم والإخراج والإشراف الفني  
دار أمجد للنشر والتوزيع

دار أمجد للنشر والتوزيع  
جميع الحقوق محفوظة  
جميع الحقوق محفوظة  
dar.amejd@hotmail.com  
dar.amejd2014cp@yahoo.com  
مطبعة - عمان - رقم الهاتف: 06 522 2222



إهداء

حيثُ يكونُ الأردنُّ... أكونُ  
إلى نبضه المكانيُّ  
مجدِّداً.....!!



## سلامُ الغيم

ها أنا أهبط الهوينى على أدراجك يا عمان، لأعود إلى أولى الحكايات، أنزل باحثاً عنك بين الجدران العتيقة، كأنما يحدو بي النبض صوب الأعماق، هي التفاصيل هنا تشي بعطر التاريخ، إذ تبرعت الأحلام وشقت طريقها خطواً على أدراجك ومعراجك نحو البهاء...

ها أنا يا عمان أعود اليك وكلي حنين، أخيط من سلام الغيم لوحة ثم لوحة، مفتشاً عن هبة المكان ورائحة الزمان، وهاهم الطيبون من أهلك ما يزالون يلونون شوارعك وهذه الأزقة، بفرشاة أحلامهم وعشقهم البادي على الوجوه.

هم يعرفون أنك ربة عمون ودار الملك، وفي ذلك الزمان كنت الدرة الثمينة، وأنت تعودين إلى عصور ما قبل الميلاد، واحتملت عاديات الزمان الى أن عاد اليك الألق الحضاري في العصرين اليوناني والروماني، فأصبحت فيلادلفيا مدينة الحب الأخوي لتلوني وجتتيك بكل تفاصيل البناء من مدارج وشوارع مرصوفة، وأعمدة على الطراز الروماني الجميل، وها هي آثار تلك الحقبة المهمة تبوح لنا بعبقرية الإنسان العُماني...!!

عندما تقودني الخطى لأدلف هذا المدرج الروماني وهو في قلبك النابض بالحياة، أراه ما يزال ناطقاً بالحكمة وأسرار السنين، هنا على سفح جبل الجوفة.

وتشير لي هذه الكتابة اليونانية الموجودة على إحدى منصات الأعمدة الى أنه بُني إكراما للإمبراطور مادريانوس الذي زارك فأقيمت الاحتفالات هنا لقدمه، يا لهذا الجلال!! كيف لي أن أحتمل هذا الجمال المعماري، كأنما هتافات الجماهير هنا تمتصها المقاعد الحجرية لتشي بتلك العروض الغنائية والمسرحية الراقية، على هذه المنصة الحجرية وقف مشاهير الثقافة والفنون؛ ليبحوا بروائع إبداعاتهم. وتظل هذه الغرف هنا شاهدة على كواليس المسرح، وأنها شهدت وشوشات المبدعين قبيل الخروج أمام الجمهور.

ولحفظ مفردات الكنوز العمانية، واحتراماً لهذا المسرح الذي قدم الكثير على مدار التاريخ من ألوان التجليات والإبداع، فقد أقيم هنا متحفان مهمان، متحف الحياة الشعبية الذي يعكس تطور حياة سكان الأردن وما في هذه الحياة من استعمالات للأثاث والأدوات البدوية والريفية، ومتحف الأزياء الشعبية الذي يؤرشف لأزياء المدن الأردنية التقليدية ومدن فلسطين، وأدوات

التزيين المختلفة التي ما تزال تستعملها المرأة الأردنية في مختلف المناسبات.

أعود إليك يا عمان، أستنهض من تاريخك ما يشكل عنوان حاضرِكَ البهبي، ها أنا أعود لأتجول في ساحة الفورم التي تشكل الساحة الأمامية للمدرج الروماني، التي يعود تاريخها إلى عهد القيصر أنطونيوس بيوس وتظل هذه الأعمدة أصابع تعزف لحن الخلود، وتشير إلى عناوين عديدة في سجلك البشري القديم.

أعود إليك مجدداً لأهبط أدراج التاريخ، ليكتشف القلب ما تغافى من حلم المكان، وذاكرة الحجر هنا نشطة تبوح لي على مرأى من قطيع الغيم أنها عمان، ترخي جداول ماضيها على الكتفين، ها أنا أصعد نحو جبل القلعة بمعلمه الأثرية الشهيرة، لجذوره التي تعود إلى آلاف السنين، وهو يحفظ ذاكرة المدينة من النسيان، ذاكرة تخزن حضارات عديدة أضاءت عمان فانوساً مشعاً بألوان قزح، بتفاصيل المدينة السعيدة.

إنه جبل المعابد والتساييح، أسير على أكتافه لتبدو لي عمان بأسواقها وشوارعها، بأحيائها وجبالها التي ترقى سلام الغيم إلى السماء، هذا الجبل كان مقر عاصمة العمونيين، حيث نجد بقايا قصورهم ما تزال ماثلة للعيان، حيث جدران الأسوار والآبار

المحفورة في الصخر الجيري، وهذه التماثيل التي تدل على الملوك العمونيين، ونعثر هنا على بقايا آثار وأعمدة رومانية كورنثية. وأبرز أيقونة تجلج هذا الجبل هو معبد هرقل أو الهيكل الذي بناه الامبراطور الروماني أوريليوس" ونراه واجهة مكونة من أعمدة ضخمة، كأنما ما تزال تحبس صلوات عتيقة...

في هذا المكان المجلج بالحنين والوقار، لمجد بعضاً من الآثار الإسلامية التي تعود إلى العصر الأموي، حيث بقايا لقصر بطابع إسلامي وبركة منحوتة في الصخر. بُني هنا متحف الآثار الأردني ليكون الحارس لحضارات عمان القديمة وتاريخها السحيق، يبين مراحل التطور التاريخي للأردن بآثاره المختلفة التي يعود بعضها إلى العصر الحجري القديم، إنها مقتنيات تاريخية بالغة الأهمية، وبخاصة مخطوطات "قمران/ البحر الميت" التي اكتشفت بطريق الصدفة داخل جرار فخارية في أحد الكهوف الغربية من البحر الميت. إنها الحكايات القديمة هنا على أشكال وصور، تدل بلا ريب على عظمة الإنسان الأردني وهو يصنع تاريخه المجيد.

أهي الخطى المرتجفة من تبحث عن جماليات التاريخ كرة أخرى؟!، لتقف الروح خاشعة أمام قدسية هذا المبنى الرائع، إنه (نيمفيوم) في شارع قريش هنا، سبيل الحوريات من الأيقونات

الخالدة في قلب عمان، كأنما يهمس لنا بأنه على قدر عظيم من الفخامة، وأنه يعود إلى القرن الثاني للميلاد، وأنه من أروع المباني الرومانية التي أقيمت على ضفاف نهر عمان القديم، والصبايا الجميلات يحملن الجرار إليه، ليغسلن شعورهن وأجسادهن الظمأى على وشوشات ضحكاتهن. استعمل في غابر الأيام حماماً عاماً مكوناً من ثلاث حنايا، رتبت طاقاته الصغيرة النصف دائرية في خطين يعلو أحدهما الآخر، وكانت واجهته مغطاه بالواح الرخام، نجد هنا حوضاً للسباحة وفوقه أقيمت الحمامات والنوافير والأعمدة.

كما نجد هنا قاعة كانت تنبعث منها الموسيقى والألحان العذبة، وهذا المسرح، المدرج الصغير، بجدرانها المقوسة الرائعة، وتظل هذه الأبواب الخشبية بألوانها الداكنة تعيد نسج خيوط الحياة وضجيجها الجميل آنذاك.

هذه هي عمان ما قبل الميلاد، جدة عتيقة لا تكف عن السواليف، تفتح دفتها كل حين، لتقول ما لا يقال من فتنة الحضارات ورقى الإنسان القديم، هنا في عين غزال إلى الشمال الشرقي من قلب عمان، تدهشنا هذه البلدة الأثرية، أقف على رجومها ويلتفت القلب، إنها مستوطنة زراعية ورعوية، بقايا من

قرى ذلك الزمان، تجاور نبعاً في كنف سلسلة من الجبال، قرى مكونة من مبانٍ بُنيت من الحجارة غير المشدبة، تظهر مستطيلة الشكل وبمجردان مستقيمة، وقد رصفت الأرضيات ثم قُصرت بالجبس المذكوك حد اللمعان، وهي مبان ذات طابقين، استعمل الطابق العلوي للمعيشة والسفلي لأغراض الخدمة والتخزين، كما نجد هنا المباني الطقسية التي بُنيت على شكل معابد كبيرة.

لقد كشفت التنقيبات الأثرية في موقع عين غزال عن العديد من الأدوات المستخدمة والأواني الفخارية، ومجموعتين من التماثيل البشرية النادرة، بشكل كامل أو نصفين، وقد عُثر على دمي طينية حيوانية تمثل الحيوانات السائدة في ذلك العصر من التاريخ.

ترى عالمة الآثار (كنيون) أن هذه التماثيل وبخاصة النسائية الطينية ذات الأعين التي تشبه حبة القهوة، تمثل ظاهرة تقديس الأسلاف، وهو الأمر الذي يفسر العقائد الدينية لساكلي عين غزال في تلك الفترة، وقد تطور هذا التفسير إلى الجماجم التي عُثر عليها هنا، والتي تمثل في الواقع أشخاصاً ذوي إنجازات مميزة، تم تمسيدهم من أجل الخلود على غرار تحنيط الموتى عند الفراعنة.

وأظلم أسيراً لهذه الفصول العبقرية من تاريخ عمان، لأواصل  
النهب عن كنوز ومعارف، وعندما تشير البوصلة إلى المنحدرات  
الساحرة بطبيعتها الخلابه غرب عمان، يذف القلب بشارته لباقي  
الجسد المنذور للدهشة والبوح، وهو يعبر وادي السير باتجاه آثار  
الدولة العمونية في عراق الأمير، وهو يقفو بين حنايا الريف، سرّاً  
بين الوهاد، لتشي التفاصيل هنا- وبخاصة هذه الكهوف الأثرية  
التي تقع على الجانب الأيمن للوادي الأخضر- بواقع الحياة  
العمونية آنذاك.

وتشير النقوش على أحد الكهوف السفلية التي تعود إلى ما  
قبل الميلاد إلى الأمير طويبا العموني، ومن أبرز الآثار الهلينية  
المتبقية على مستوى المملكة لمجد قصر العبد هنا في عراق الأمير،  
تحفة أثرية مخبأة في حوض التلال، ويعود إنشائه إلى الحاكم  
هيركانوس.

وهو بناء مستطيل الشكل من حجارة كلسية ضخمة  
مستخرجة من المناطق المجاورة، ويظهر أنه مكون من طابقين ومن  
بوابتين، وفيه العديد من الغرف ذات الاستعمالات المختلفة،  
والعديد من النوافذ المستخدمة في الإنارة والتهوية، كما نشاهد في  
أسفل جدرانها وأعلاها مجموعة من المنحوتات الحيوانية التي تشير

إلى الأسود واللبؤات، وهي ربما موجودة لحراسة هذا المكان وجدانيا وللتركيز على قوة الحكم آنذاك.

ولا يكفُ القلب عن التفتيش في تفاصيل عمان القديمة وهي اليوم محافظة شاسعة المدى والندى، فتعاود خطاي بجثها عن الجمال النادر والمخبوء في ضفاف الصحراء، إنها بلدة أم الرصاص، "ميفعة" الموغلة في حضن التاريخ، التي أسسها الرومان كمعسكرات في بداية حكمهم من أجل تثبيت نفوذهم وحماية طرق التجارة بين الجزيرة وبلاد الشام، انها أطلال من القدسية والفخامة، وقد بيّنت بعض المصادر التاريخية أن النبي محمد عليه الصلاة والسلام قد زارها والتقى فيها الراهب بُجيري، وتعتبر اليوم من أهم المواقع السياحية الدينية في الأردن، يرتادها الحجاج المسيحيون من مختلف أقطار العالم لما تحويه من كنائس تاريخية مهمة عالميا، ومن هنا أدرجت أم الرصاص على قائمة التراث العالمي التابعة لليونسكو.

مزيج من الحضارات المختلفة الرومانية والبيزنطية والاسلامية، وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن مجمع ديني هنا، يتألف من أربع كنائس منها كنيسة القديس (سيرجيوس) وكنيسة القديس (اسطافينوس)، رصّعت أرضياتها بالفسيفساء، التي تصور

رسوماً لعدد من المدن البارزة التابعة للأراضي المقدسة من الجهتين الشرقية والغربية لنهر الأردن.

على تل حسان حكاية أخرى لتاريخ عمان، وهو إلى الجنوب الغربي منها، إنه مارد أزلي بين الموارس والهضاب، يوشوش للعاشرين قصص البطولات للدفاع عن حياض الوطن الممتد من القلب إلى القلب، شهادة وتضحيات.

يمتد تاريخ هذا التل إلى العصور الحديدية، يقف وسط مدينة حشبون التي حكمها الملك سيحون الأموري، تلك التي شهدت استيطاناً مكثفاً في العصر البيزنطي، وأطلق عليها اسم 'إسيوس' وأصبحت مركزاً للأسقفية، وكان لها أهمية كبيرة في العصر الأموي، وتشير نتائج الحفريات عن وجود بناء إسلامي ومجموعة من الآبار العميقة، إضافة إلى كنيسة مازال بقاياها ماثلة هنا، فيها قواعد وأعمدة وأرضية من الفسيفساء، فضلاً عن العديد من الآثار التي تعود إلى العصر المملوكي، من مبان وأعمدة وساحات مرصوفة بالحجارة، والعديد من المخازن والحمامات. وقد وقعت اتفاقية مع جامعة أندروز البريطانية بهدف الصيانة والترميم لآثار هذا التل القديم.

وتعيد عمان حكايتهم وهم فتية آمنوا بربهم فزادهم هدى،  
كأنما رحلوا خفية من جبل القلعة في وسط عمان القديمة إلى هنا،  
ليختبئوا وكلبهم في هذا الكهف المعتقد بالتوحيد ونبذ الشرك  
والامتثال لنداء العقيدة الصافية، إنه كهف الرقيم الذي كان من  
آيات الله، ويُسمى بالعامية (الرجيم) وهو يؤرخ لقصة الفتية  
الذين وردت قصتهم في القرآن الكريم، حينما أماتهم الله مئات  
السنين وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد، وقاموا أحياء في حلة من  
العجب، ثم أماتهم الله ليكونوا عبرة على مدار فصول التاريخ،  
ويقع هذا الكهف ضمن مقبرة بيزنطية مزينة بزخارف هندسية  
ونباتية، وأقيم على مقربة منه مسجد بطابع عمراني جميل.

ها أنا أعود مختلف الخطو والنبض والتكوين؛ لأصعد  
أدراجك يا عمان، بعد أن التقطت من تاريخك ما يكفي لمزيد من  
بوح وشعريات وصور، كي أذهب إلى هناك، لأدلف شارعاً يمثل  
ذاكرة تاريخك الحديث، إنه شارع الملك فيصل، ما يزال هنا يثر  
حكاية البدء منذ مطلع القرن العشرين، عندما كان يقف الملك  
المؤسس عبدالله الأول بن الحسين، يقلد الأوسمة لضباط وأفراد  
الجيش العربي، في هذه الساحة الشهيرة، التي تحاكي ميادين عربية  
غيرت مجرى التاريخ كميدان التحرير في القاهرة، وتظل تحكي هذه

الساحة ذكريات الوطن إذ شهدت الجنازة الرسمية التي أقيمت للشريف الحسين بن علي وهو في طريقه إلى القدس ليواري جثمانه الثرى هناك في حرم المسجد الأقصى الشريف، إنه ذاكرة المدينة الحية، إذ كان يشهد العديد من الاحتفالات الوطنية الشعبية المقامة على أرصفتها، وعلى شرفات المنازل وسطوحها، كأنما الزغاريد الوطنية ماتزال حية بين مسامات جدران الأبنية القديمة هنا.

ومن أبرز المنمنمات التي كانت تمثل عصب الحياة السياسية والثقافية على ضفاف هذا الشارع التاريخي، مبنى البلدية القديم، ومقهى حمدان الذي كان قبلة للمثقفين والمفكرين والباحثين عن فضاءات الجمال، فضلاً عن مقهى 'الشالاتي' الذي اشتهر باحتواء أول جهاز راديو يجتمع حوله المرتادون في منتصف الثلاثينيات، بشغف كبير.

ولقد شهد هذا الشارع الهجرات الشركسية الأولى في نهاية القرن التاسع عشر، وقد ساهم الشركس منذ قدومهم إلى قلب عمان في إعمار المدينة وبت الحياة فيها، إذ بنوا وعمروا بكل ما يحملون من وعي وعقيدة إسلامية سمحة.

وقد كان للهجرات الأولى المتعاقبة دور في نشأة المدينة،  
وصعودها نحو معارج الحضارة، من الأرمن والشوام، والأكراد  
والشيشان، وقد أضفوا على المجتمع الأردني تنوعاً عرقياً بشكل  
جزءاً هاماً من نسيج الوطن ضمن شعار "يداً بيد نبني الأردن".  
وتتحرك عجلة التاريخ لتنهض عمان، بفضل القيادات  
الهاشمية الحكيمة وقد كان المغفور له الملك الحسين بن طلال فضل  
في بناء الوطن على كل المستويات؛ ليغدو نموذجاً حضارياً رفيع  
المستوى، وقد أكمل المسيرة باقتدار الملك المعزز عبد الله الثاني ابن  
الحسين لتغدو عمان عاصمة الحدائث والألق، والحضارة والطرز  
المعماري الفريد.

ها أنا أصعد أدراجك يا عمان؛ لأهب لنفسي مزيداً من  
البوح الرقيق، وأستجلي فضاءات بهائك المرسوم هنا وهناك،  
وأقف خاشعاً ناظراً بجلال إلى مسجدك التاريخي، المسجد الحسيني  
الكبير، وهو يجلل سماءك بالتكبير وتسيحات الإيمان، إنه الحارس  
الأزلي للفضيلة، والنابض بالرحمة والخشوع. هنا في ساحته  
الضاحجة بوجوه الناس المحبين، مشهد عماني يمور بالأمانى ونشدان  
الرزق، إنه تحفة إسلامية لا مثيل لها، بيناته المعماري الفريد  
وبتفاصيله المكونة من فناء كبير وساحة سماوية، وهو مزخرف

بنقوش إسلامية غاية في الجمال، وقد بني فوق أنقاض المسجد الأموي القديم.

ها أنا أفق منذوراً للهمس هنا في المحطة أمام هذا القطار القديم الذي ما يزال بصفارته يشي بتاريخ تأسيس الخط الحديدي الحجازي، الذي أنشأته الدولة العثمانية للمساهمة في نقل الحجيج من اسطنبول إلى الديار المقدسة، ها هي محطة من محطاته الكثيرة، في قلب عمان، ويظل هذا المبنى الحجري يوشوش لنا حكايات المسافرين، وما تحويه حقايب السفر من مواعيد وهدايا للأحبة هناك.

وأرفع من ستائر نوافذك حريراً ليدي، لأكتشف المزيد من تفاصيل الأصالة في بيتك المجلل بأسرار النهار وأضواء الليل... ها أنا على عتبات سوق البخارية الذي يحكي بدايات التأسيس وقصة التجار الذين هاجروا من بخارى (أوزبكستان) لينبوا هذا السوق الجميل بما يجويه من أصناف البضائع التقليدية والتحف الشرقية والإكسسوارات والعطور.

إنه سوق عائلي حميم يجمع بين تجار أحبوا عمان وهاموا بها، وتظل الذكريات هنا نشيد صباحي، على همس تتناقل حكاية السيل القديم الذي سقّف وصار يسمى (سقف السيل)

والبساتين الخضراء اليبانة التي كانت عل ضفتيه، وأعمدة المصاييح تلك التي كان يضيئها الدومري قديماً باستخدام مادة الرماد المبللة بالكاز.

وتفضي بي شوارعك المبللة بخرى العشاق إلى سوق اليمينية العتيق، الذي ما انفك يهمس بحكايتهم أولئك الشباب اليمينين الذي شاركوا في ثورة العرب الكبرى، وأسسوا هذا السوق بنكهته الشعبية المميزة، وهذه البساطة التي تشكل عنواناً للحياة في محلاته العديدة.

وهو ما يزال يحافظ على هويته التراثية بمعرضاته التي يطلبها الزبائن، كالمعاطف الشتوية والجاكيتات الأوروبية، إضافة إلى أعمال الخياطة ورتق الملابس المختلفة، ويظل هذا السوق ذاكرة المدينة التاريخية على مدار العصور.

وأعود كرة أخرى لأصعد أدراجك يا عمان، وأظل أصعد لأستكشف ياسمين اللويذة، هذا الجبل المطرز بالبوح والقصائد، والعمران المثقف بأنفاس التاريخ، هنا كل شيء قابل لخرقة الروح، يفيض نعاساً على شرفات البيوت والأحلام، دوار باريس وهو على مرأى من رابطة الكتاب الأردنيين، يعيد أنفاس القوافي ويثر حكايات اللويذة على مسامع العابرين..

من على حواف هذا الجبل العتيق أرقبك يا عمان، لأعيد  
رسم المشهديات علي أدلف باب الحدائة، كأنما أسمع الحان من  
كتبوك قصائد، وتغنوا وفاضت كلماتهم على مسامع الغيم، باتجاه  
ابراجك العالية.

ها أنت اليوم ترخين جدائلك على الكتفين، وتوشحين  
أصابعك بمجناء المواسم، أغنية للمجد، وحبات من النشوة على  
القلب، لقد سعدت أدراج التاريخ من قرية صغيرة إلى عاصمة  
الحدائة والرعي وال عمران الجميل، من مجلس بلدي إلى أمانة عمان  
الكبرى، التي تسعى جاهدة بكل طواقمها إلى الارتقاء بك نحو  
العلاء وتفعيل البنية التحتية من خلال تبني المبادرات ودعمها في  
مختلف الميادين الثقافية والاقتصادية والسياسية.

وقد تم تصنيف عمان عالميا كواحدة من أفضل مدن الشرق  
الأوسط من ناحية الاقتصاد والبيئة وسوق العمل.

وتمتد عمان مركز العاصمة فوق عشرين من الجبال، تترأى  
حلة قشبية من المباني المتداخلة معاً، تطل على وسط المدينة  
التاريخي الجميل، ثم توسعت المدينة بناءً على خطة شمولية نالت  
جوائز عالمية في تخطيط المدن، ومن أبرز المشاريع الحديثة في المدينة  
مجد مشروع العبدلي الذي سيصبح قلب عمان الجديد بمحدثه،

والذي يضم أبراجاً ومجمعات سكنية ومكاتب وفنادق ومحلات تجارية ومراكز للترفيه، ليغدو محور الأعمال والسكن في العاصمة، ويشكل بنية تحتية لوسائط الإعلام والاتصال، ويكون بمثابة المركز الذكي للمدينة.

ها أنا أبح أحياءك العصرية يا عمان، حيث القصور والفنادق الفخمة والمباني الأنيقة، والمولات التجارية والأبراج، والجسور المعلقة، كهذا الجسر العملاق "جسر عبدون" بهندسته الرائعة الذي يربط شمال المدينة بجنوبها، فضلاً عن الأنفاق المتشرة في العديد من المطارح.

ها أنت يا سيدة المدائن مزينة بكبرياء النصر تحمّلين في وجدانك أحلام الأردنيين، وتحتزين الزمن بهذا البهاء الوطني الذي يتمثل بهذا التطور السياسي الذي شهده الأردن، وأنت الحاضنة لكل وزارات الدولة والمؤسسات الحكومية والخاصة، والمرتكز لكل نشاط سياسي وحزبي منذ مطلع القرن العشرين، والذي تكفل بإعادة الحياة النيابية الديمقراطية بتشكيل مجلس الأمة؛ ليكون ممثلاً حقيقياً للسلطة التشريعية في الأردن، وصمام الأمان والمرجع للأنظمة والقوانين، كما نلمس الحياة السياسية المعافاة في نشاط الأحزاب والأندية والجمعيات بمختلف أنواعها، لتغدو

خلفية لمحل للأفكار البناءة والصالونات التي تأخذ بعضها مصلحة الوطن معراجاً نحو الازدهار والبناء.

ومثل كل العواصم الراقية في العالم التي تولي حركة الملاحة الجوية الأهمية الكبرى، فقد أنشئ في عمان مطاران دوليان لفتح نوافذ على العالم الخارجي، وتسهيل حركة الملاحة الجوية، هنا نجد مطار الملكة علياء الدولي، هذا المطار الراقي بتصميمه الحديث وبنيته التحتية التي تضاهي أرقى مطارات العالم في الاتساع والسرعة، وتوافر كل وسائل الراحة للمسافرين، وهو يحوي على منطقة حرة فيها كل ما يحتاجه المسافر من مستلزمات الحياة، إنه مطار أنيق وهادئ وعصري، حتماً يظل في ذاكرة المغادرين والقادمين إلى حين.

كما نجد في منطقة ماركا الشمالية مطار عمان المدني الذي يعتبر رديفاً ومعزراً لمطار الملكة علياء الدولي، بما يوفره من رحلات داخلية وخارجية.

إنها الحدائث المثالية والتصميم الواضح في الطراز المعماري الفريد، على الدوار الثالث في جبل عمان، أقف متأنياً هنا، في هذا الجبل الذي ما انفك يجمع بين الأصالة والمعاصرة في أحيائه التراثية المدهشة، ها أنا أعبر شارع الرينبو المبلط بطابعه

الكلاسيكي الأخاذ، حيث تنتشر المقاهي والمطاعم، وهو يشكل مقصداً لكل الباحثين عن النسيج الحضاري المزركش الألوان.

يا لهذا الجمال الباذخ! وهو يمتد بين الدوار الثالث حتى الثامن، ماراً بمناطقك الغربية التي بنيت على أحدث الأساليب العصرية، في أم أذينة وعبدون والصويفية والشميساني، أحياء لا ينفك المرء يمدق في جمالياتها، حيث الشوارع الفخمة المشجرة والفلل والقصور، ورفاهية العيش.

هنا رموز الأناقة التي ترسخت في الذاكرة الجميلة لكل الأردنيين، دوار الداخلية ودوار الشهيد فراس العجلوني في جبل الحسين الذي اشتهر بطابعه التجاري المرموق، ودوار المدينة الرياضية الذي سمي بهذا الاسم نسبة الى وقوعه بجانب مدينة الحسين للشباب، والتي تعتبر المركز الرئيسي لممارسة الأنشطة الرياضية المختلفة.

وصولاً إلى شارع وصفي التل ( الجاردنز) الذي يعتبر من أجمل الشوارع في العالم، بفخامته وانتشار المطاعم والفنادق وأمكنة الترفيه والترويح، والذي يقودنا إلى شارعي مكة والمدينة المنورة الرائعين، والمشهورين محليا وعربيا.

عمان يا أيتها البليغة في العطاء، كم هو ساحر هذا الاختلاف والتباين بين مناطقك العديدة، وشاح فسيفسائي متعدد الألوان، في غيماتك، وفي قراك المنشرة في السهول والهضاب، وفي صحرائك التي تبرز البداوة الأصيلة التي ما انفكت تحافظ على هويتها الأصيلة في العادات والتقاليد وطقوسها الاجتماعية المختلفة.

وتظل محافظة العاصمة الرثة التي تمد الوطن بالحياة، وهي تفرد جناحها على مناطق شاسعة وسط المملكة، ذات مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط، المعتدل صيفا والبارد شتاء، وهي الحاضنة لعناصر الرفاه والأمل، بما توفره للمتزهين والسائحين من صفاء للروح، وبخاصة في غاباتها الحرجية ومنتزهاتها الجميلة، كغابة ملك البحرين، ومنتزه عمان القومي والمدينة المائية، والأحراش التي تكسو التلال في بدر الجديدة وناعور، وهي التي ما انفكت تحرس المدينة وتخبأ كنوزها بين العصافير والأغصان... وهي من تجمع بين الريف وقراه والبادية، وبين الأحياء المكتظة بالنشاط اليومي والأحياء العصرية الهادئة، إنه التناغم بين الطبيعة والإنسان، لتشكيل رحلة الحياة في الزمن.

إنها عمان الجمر والجاه، سيدة الحكمة ومن تضمده  
الجراحات!.

ها أنا أقف في منتصف الدرج الصاعد نحو سلام الغيم، وفي  
جعيتي بقايا من حكاية!!

## أيقونة الصحراء

” ولم أنس بالزرقاء وداعنا أنامل تدمي حيرة للتلندم“  
” عماد الدين زنكي“

لقد مرُّ ذات ظهيرة من هنا، يعتلي الريح صهوة جواد،  
الشاعر عماد الدين زنكي، شاهدها وهي تتغافى على ضفاف  
الصحراء، بعنفوانها الأبهى، وعلم أنها الزرقاء، سيدة الحكمة  
الموغلة في نسغ السنين، الحاضنة لمختلف الهجرات البشرية على  
مدار الأعوام، فيعود أول استيطان بشري فيها إلى الألف الرابع  
قبل الميلاد، للتعاقب عليها حضارات عديدة يونانية ورومانية  
وإسلامية.

إنها الزرقاء، التي تلملم أحلام الفجر قلادة وتهمس لنا أن  
تسميتها تعود إلى الكلمة الأكادية السامية (زار كي) أرض المياه،  
وأنها ذُكرت في رسائل تل العمارنة الأثرية، وتعاود التحديق بنا  
لتهمس لنا مجدداً: ” لقد كانت محطة الخط الحديدي الحجازي  
معمورة بالضجيج هنا، والقطار يتهادى بصفيره قادما من الشام،

ليحمل المسافرين وأمتعتهم ويمضي إلى الجنوب نائرا في حضني  
مزيدا من الذكريات'

وتمر الأيام لتكبر هذه المحافظة الجميلة، فارشة ظلها على  
ربوع الوطن، متمتعة بموقع متوسط في المملكة، إنها الجارة الأزلية  
للعاصمة عمان، على بعد 45 كيلو متر منها، وقد شهدت هجرات  
بشرية متنوعة منذ مطلع القرن العشرين، الأمر الذي أضفى عليها  
رداء مزركشا بالتنوع والثراء، ليرسم على وجنتيها لوحة من  
فسيفساء اجتماعية تتناغم معا، بروح المواطنة والجوار، عادات  
وتقاليد تشي بالاختلاف لكن الجوهر أردني واحد.

مدينة الزرقاء تقع في قلب المحافظة، ذات مناخ صحراوي  
جاف صيفا قليل الأمطار شتاء، تتميز بكثافتها السكانية، والتنوع  
العمراني المدهش، حيث نجد الأحياء العصرية، والقلل القرميدية،  
والعمارات العملاقة، ومن جانب آخر نجد الأحياء ذات المباني  
القديمة، المنتشرة فيها الأزقة الضيقة والحارات الشعبية، والشوارع  
الضاحجة بمحركة المتسوقين والعابرين، المزدهمة بالمتاجر والمقاهي  
والبسطات وبالأحلام، ونجد أسواق الخضار والفواكه، وأسواق  
الملابس العتيقة، كما تقودنا الخطى في شوارع فخمة تشهد حركة  
تسوق نشطة.

كما نجد الزرقاء الجديدة بمكوناتها العمرانية الجميلة، وتطالعنا مدينة خادم الحرمين الشريفين بطابعها العصري، انبثقت عن فكرة مشروع مدينة سكنية متكاملة لتضم جميع عناصر ومكونات المدن النموذجية.

هنا في قلب المدينة يسحرنا شارع السعادة الضاج بالحكايا والعابرين والزخارف المكانية حيث المتاجر الزاهية بالبضائع والهدايا، بخطوات المارين الباحثين عن متعة التسوق، حيث يتوفر كل ما يشدونه من حاجيات ثم يمشون في شعاب المدينة.

أما شارع الجيش فهو حكاية الفداء الذي سمي تقديرا للجيش العربي الأردني، لأن الزرقاء لُقبت بمدينة العسكر، إذ شهدت تأسيس المعسكرات وميدان التدريب لتخريج أفواج من النشامى المدافعين عن حمى الوطن، هذا الشارع يعتبر معلما تجاريا وسياحيا فريدا ويحفظ ذاكرة المدينة من النسيان.

ها هي الزرقاء فراشة من حلم تهيم بالضوء على جنبات الرمل، تنثر حكاياها للعابرين الباحثين عن شمس أقل وظل كثير، إنها موهلة في المتن القصصي للحياة، موشحة بالمواقع السياحية الدينية والتاريخية، يطير فوق مآذنها ودورها وريفها المترامي حمام زاجل، يحمل رسائل العشق لقصورها الصحراوية، يحط الحمام

وادعا فوق أبراج قصير عمرة، هادلا لنا بالندي والمدى، بعقرية هذا القصير المقرب الذي أمر بينائه الأمير الأموي الوليد بن عبد الملك، إنه تحفة رائعة تكتب على الرمل قصيدة، تمثل الاقتصاد الهندسي في فن العمارة، وقد بُني لأغراض الصيد في أفق البداء، إنه قصر أزلي، مكون من أروقة وغرف مكسوة بالرخام تأخذ الزائر إلى حدائق في البهو الخارجي، مزدانة أرضياته بالفسيفاء والزخارف البنائية، إضافة إلى رسومات تجسيدية على جدرانها تمثل مشاهد من رحلات الصيد، وأشهر الحيوانات البرية في المنطقة آنذاك.

كما يخلق الحمام فوق قصر صحراوي آخر، إنه الحرائة، هذا القصر الأموي العسكري الراقد في مكان يطلق عليه الحرة، مليء بحجارة الصوان السمراء، وهو ذو شكل مربع مبني من حجارة رملية طرية، توشحه النوافذ المقوسة التي ترسم ظلها على أرضيته انكسارات من الذكريات، وهو ذو أبراج مستديرة وغرف تتوسطها ساحة واسعة مكشوفة لشمس الصحراء اللاهبة، زينت غرفه العلوية ببعض من أشكال الزهور والنماذج الهندسية التي رسمت بالحصص والزخارف ذات النمط الفارسي.

ولا تكف الحمام عن التحليق، فتأخذنا إلى قصر شبيب،  
المسمى قديما بـ(حصن الزرقاء) وقد شُيد في العصر الروماني  
ليكون حامية عسكرية، ثم تعاقبت عليه الحضارات ليظهر لنا أنيقا  
ذا قاعة واسعة ودرج حجري يقود إلى الأعلى، وفيه بئر ذات  
سراديب تحتية، وقد استخدم في العصور المتأخرة كمحطة  
للمسافرين وهم يعبرون إلى عمق الصحراء.

ويقودنا القلب إلى فنتتها، والدرب الصحراوي الموشح بالزهر  
البري وحكايات النوق، إنها الأزرق، ظبية الصحراء المكحلة  
بالتاريخ وأسرار الماء، بلوحات الطبيعة البكر، بالملاحات  
والمحميات ، بتنوعها وهي تنسج خيوطها المكانية بيوتا ذات طابع  
درزي جميل، وبيوت شعر بدوية، لوحة من البادية والمدينة والقرية  
معا، في تناغم لا مثيل له. تتنفس في صباحاتها رائحة خبز  
الطابون، رغاء الإبل والقصيد، واحات النخيل الوارفة الظلال،  
أكمام شجرية وسبخات، مزارع العنب الممتدة والتين والزيتون.

هنا في محمية الأزرق تمر بنا الطيور المهاجرة، نصف مليون  
كائن سماوي يخلق وتهبط منه أسراب فوق صفحة الماء، أتراها  
تعشق أسرار الماء فتشر حكايات مشوارها الطويل من أوروبا نحو

مجاهل أفريقيا ومجيرات آسيا القصية، في رحلات الشتاء والصيف المتعكسة.

إنها محمية طبيعية أسرة، بفتنة خريها وأسمائها الفقرية المتماوجة وهي تأسر الناظرين، مستنقعاتها وملاحات الصبغة، جسرها الخشبي المدور المبني فوق نعاس الماء، ها هو يوشوش لنبات الحلفاء والقصيب والعرقد مدونات التصوف ومرثيات الحلم، حيث لا شيء يعلو على صوت الطبيعة وهي تغرد للحياة. كما لمجد هنا محمية الشومري التي تعتبر مركزا مهما لتكاثر الأحياء البرية المنقرضة أو المهدة بالانقراض، مثل أبقار المها العربي والغزلان وطيور النعام والحمار البري.

هنا نقش بنائي بديع يجلل المكان بالهيبة، ويمنحه بعدا تراثيا عميقا، إنها قلعة الأزرق المستطيلة الشكل المبنية من البازلت الأسود، ذات أبراج وأدراج حجرية، وعدد من النوافذ الجميلة، تزدان بالنقوش التي تؤرخ لكثير من الأحداث في الأزمنة الغابرة، وتقام في ساحة القلعة سنويا فعاليات مهرجان الأزرق للفنون الشعبية.

ولسيل الزرقاء حكاية أخرى، إذ يوشوش هذا الأفعوان المائي أقاصيص عشقه للمكان وذكرياته إذ كان يُسمى (نهر التماسيح)،

هو ينبع من عمان مارا بالزرقاء في مجرى أزلي طويل ليحط رحاله في نهر الأردن، أهو اشتياق السيل لأخيه النهر البعيد؟!

هنا ثمة طائرات ورقية تحلق فوق ضفافه، يرسلها ثلة من الأطفال الأشقياء، هذه الضفاف المكسوة بالحشائش والنسيان، على مرأى من القرى الهادئة على الهضاب هناك، وهي تسرد حكاية (بيرين) وهي تتلفع بالأشجار الحرجية وترسل ينابيعها من بين الصخور وتراتيل الغناء، بيرين تتراءى بين الهضاب كحلم ليلة صيف، تهامس قرية العالوك الغافية في حضن الوهاد، وهي تنسج رداءها من الطبيعة البكر وأشجار البلوط المعمر، بيوتها القروية المثورة بين الأشجار الخضراء، وهذا النبع الروماني القديم على مقربة من شجرة ضخمة، يجيء تراويد الوردات، حزن الناي وأناشيد حبيب الزيودي (رحمه الله) : جزارها الراعيات السمر فالية على الروابي بقطعان وأجراس .

هنا رائحة التاريخ حيث المغاور والكهوف ما تزال مجوفة في الصخر تسرد حكاية المكان المرسوم بلوحات من الكروم، باللوزيات وغابات من أحلام الماء.

محافظة الزرقاء ذات طابع جيولوجي متداخل، حيث الصحراء القاحلة والأرياف المزدانة بالروابي الخضراء، والسهول

الممتدة ذات الخضرة اليانعة، وهو الأمر الذي خلق تنوعا في ثروتها النباتية والحيوانية، وجعل منها منطقة زراعية متنوعة الإنتاج، تنتشر في المحافظة زراعة المحاصيل الحقلية ومساحات كبيرة من الأشجار الحرجية والأشجار المثمرة من التين والزيتون ومختلف الفواكه واللوزيات، فنجد في بلدة الأزرق مساحات مزروعة بالأعشاب المحسنة والنخيل وأشجار الزيتون التي تتلائم مع مناخات الصحراء.

وتعتمد بعض المزروعات البعلية في ريها على الأمطار في فصل الشتاء، ومن جانب آخر هناك العديد من المزروعات التي تعتمد على السقاية من الآبار الارتوازية، ومن سيل الزرقاء، فتنتشر زراعة الخضراوات المختلفة هنا وهناك، فضلا عن البيوت البلاستيكية المزروعة بمختلف النباتات الموسمية والأزهار والورود.

ويمكن القول هنا إن الزراعة في المحافظة تغطي احتياجات السوق المحلي والأسواق الأخرى المجاورة.

كما تشتهر المحافظة بتربية العديد من الحيوانات الداجنة في حضائر معدة لهذه الغاية، كالضأن والماعز والأبقار والإبل، ونجد قطعانا منها تنتشر في سفوح التلال وفي المنحدرات وفي الصحراء

المترامية الأطراف، كما نجد العديد من مزارع تربية الدجاج والأرانب المختلفة الأنواع، وهي ثروة حيوانية تشكل في مجملها قيمة استثمارية وغذائية كبيرة، ترفد السوق المحلي بكميات وافرة من اللحوم والبيض ومشتقات الحليب المختلفة.

إن أهم ما يميز مدينة الزرقاء تطورها الاقتصادي في مجال الاستثمار الصناعي والتجاري، وتواجد الشركات العديدة والمنشآت والمصانع المختلفة الإنتاج في مجالات الدواء والغذاء وقطاع الانشاءات والبناء والتعدين؛ ومن هنا استحققت المحافظة عن جدارة لقب (عاصمة الأردن الصناعية) نجد هنا مصفاة البترول الأردنية هذه المنشأة المهمة في الاقتصاد الوطني التي تعمل على تكرير النفط الخام لرفد محطات الوقود في شتى أنحاء المملكة بمشتقات النفط المختلفة، كما نجد محطة الحسين الحرارية العاملة على توليد الطاقة الكهربائية لتغذي المحافظة بها.

وتتميز المدينة بوجود المنطقة الاقتصادية الحرة فيها، هذا المكان الذي يمثل مركزا تجاريا اقليميا نشطا على مدار الساعة، يمور بالحركة والعرض والطلب، اذ تستقبل مختلف البضائع والمركبات المتعددة الأنواع لرفد السوق الأردني بها.

الزرقاء ذاكرة مكان وبوح إبداعي أصيل، فقد اختيرت في العام 2010 لتكون مدينة الثقافة الاردنية لما لها مع عمق تراثي وإبداعي متميز، لتشهد متواليات احتفالية وإبداعية على مدار العام، فهي من أكبر الحواضن الثقافية في المملكة، ترعرع في جنباتها عدد كبير من المثقفين في مختلف حقول الإبداع؛ في الأدب والنقد والفنون الأدائية والفنون التشكيلية، منهم الرواد المؤسسون للحركة الثقافية في الأردن، الذين ما تزال إسهاماتهم الفكرية والإبداعية ماثلة للعيان، ومنهم الذين ما يزالون على مصاطب الحلم يكتبون بأفئدتهم رقيق الإبداع الحامل نواميس الفكر الخلاق، واستطاع البعض منهم الوصول للعالمية كالأديب المبدع أجمد ناصر المقيم الآن في لندن مدينة الضباب.

ويقام سنويا في المحافظة مهرجانان كبيران، مهرجان الأزرق بتنوعه الحدائث والتراثي الذي يعكس تراث بلدة الأزرق على مدار التاريخ، ومهرجان شبيب الذي يساهم في إغناء الحركة الثقافية الأردنية بكل جديد في مجال الموسيقى والأدب والفنون الجميلة.

واستكمالاً لمسيرة الإبداع فقد أنشأت وزارة الثقافة مركز الملك عبدالله الثاني الثقافي على تلة مشرفة في المدينة، هذا المركز

الذي يشكل لمبدعي المحافظة حاضنة حقيقية، ومنبراً حراً للإبداع بما توفره أقسامه من مسرح واسع، وقاعات لعرض اللوحات والكتب والمنتج التراثي، وإقامة الأمسيات والمهرجانات.

ولأن الطفل محور في الحراك الثقافي فقد تم إنشاء مركز الأميرة سلمى للطفولة، وهو يعنى بتنمية ابداعات الطفل وتفعيل الحراك الثقافي، وبناء الطفل وجدانيا ومعرفيا ضمن خطط مدرسة تراعي اختلاف القدرات والبيئة والفئات العمرية، يعقد المركز العديد من الدورات المجانية في مختلف صنوف الابداع، إضافة للورش المتخصصة والأمسيات والندوات، وفي سابقة من نوعها فقد أنشأ المركز برلمانا للطفل تنافس مجموعة من أطفال المحافظة في دورتين انتخابيتين للفوز بمقاعده، وتأتي هذه الفكرة لبناء طفل الزرقاء سياسيا ومعرفيا ليكون من رواد الغد وصانعي القرار.

وتنتشر في المحافظة العديد من الهيئات والروابط والجمعيات الثقافية، تمارس حراكها بانتظام لخلق مناخات معرفية وأجواء من المتعة والفرح.

وتتشج محافظة الزرقاء بوشاح تراثي جميل، أخذًا خيوطه ورسومه من ألوان زاهية ومتعددة، في مجال العادات والتقاليد والطقوس، وما يزال التراث البدوي والقروي يحافظ على هويته

في الزي واللباس التقليدي، وفي مجال فنون السامر، الدحية البدوية المعروفة الملتزمة بقالب فني وشكلي معين، إضافة إلى أناشيد الأعراس ذات اللحن الرهيف، والمرثيات الحزينة في الأتراح. ومن جانب آخر ما زلنا نشاهد الألعاب الشعبية التقليدية تُمارس هنا لتشكّل بهجة في النفوس.

كما أن كثيراً من الأكلات الشعبية ما تزال حاضرة في مآدب أهل الزرقاء، لمذاقها الفريد، ولأنها تمثل التمسك بالجذور كالمنسف والمقلوبة والرشوف والقدرة والزقيات التي تمثل حلوى نادرة الطعم يتم خبزها على الصاج.

كما نجد ألواناً رائعة من التراث الشركسي والشيشاني في المحافظة، وبخاصة في مجال الفلكلور والأغاني والرقصات المنتظمة المعبرة عن الفروسية والانتصار التاريخي في المعارك القديمة.

ومن جانب آخر فإن للتراث الدرزي حضوره في الذاكرة الجمعية للمحافظة؛ لما يتمثل فيه من غنى وحيوية في فلكلوره الجبلي الجميل، بألحانه ذات الإيقاع الدرزي الخاص، وفي الزي التقليدي للرجال والنساء ذي الألوان الزاهية التي تمثل معاني سامية في الوجدان.

ولأن الشباب عماد الوطن وحماة فقد أتاحت لهم محافظة الزرقاء فرص الترويح عن النفس وصقل شخصياتهم الرياضية، لينخرطوا في المشهد الرياضي الكلي في المملكة حاصدين الاوسمة والجوائز في المحافل كافة؛ ومن هنا أنشئت مدينة الامير محمد الشبابة ليشهد ستادها الرياضي التدريبات المختلفة، ويحتضن البطولات المحلية، كما نجد ملعب بلدية الزرقاء يشهد العديد من هذه المسابقات الرياضية.

كما انتشرت العديد من الجمعيات والأندية الرياضية في نواحي المحافظة للاهتمام بمواهب الشباب وتنميتهم ليكونوا أبطالاً في كل الميادين، مزودين بالمعرفة وبالرشاقة والجمال.

هذا هو استراد الزرقاء، شارع عريض يزدهم بالمركبات والحكايات، يربط محافظة الزرقاء بمحافظتي العاصمة والمفرق، وتتفرع منه الكثير من الشوارع التي تؤدي الى نواح مختلفة من المحافظة، إنه شريان الحياة، ويعتبر بوابة العبور الدولي إلى المملكة العربية السعودية والخليج العربي عبر معبر ( العمري ) الحدودي، كما يوصل إلى معبر الكرامة الحدودي مع القطر العراقي الشقيق.

هذه هي الزرقاء، أيقونة على ضفاف الصحراء، مدينة العسكر والصناعات والمعابر الدولية، ومن اعتادت ضجيج الحياة،

وضحكات الأطفال في أزقتها المتشعبة، نسغ وشريان دافق بالحراك  
والحلم، ذات مكونات اجتماعية مختلفة الألوان والأهزيج، وتظل  
سيدة الحكمة حيث المآذن تصحو قبيل الفجر بقليل!!

## ابنة حوران

يا إريد الخرزات حياك الحيا وكلُّ لفظ جميل، ها أنت أقحوانة الشمال، عروسه بين الموارس والهضاب، تتغافين على حلمك الأجل مذ ريعان الشباب في حوض نهر اليرموك، على العهد باقية، سيدة الحكمة والثقافة الموغلة في نسغ السنين، وتظلين جزءا من هضبة حوران وسهله الخنائي العظيم، وهو يمد المدائن بالخيرات. وتعاقت عليك الحضارات؛ اليونانية والرومانية والنبطية والإسلامية لتصيري مدينة الازدهار والعمران الجميل، وما يزال اسمك الروماني (أرابيلا) يرن في الأذان، وهو يدل على عمقك التاريخي وعلى هذه الآثار التي تزين روايبك على مدى الأيام. ويمر بك الرحالة (بيركهارت) ذات يوم ليكتب عنك: 'إريد ... هي المكان الرئيسي في المنطقة التي تُدعى البطين أو بني جهمة، تقوم قلعة إريد على تل وتقع القرية على سفحه'. .. وتظل أجزاء من التل هنا، في إريد شاهدة على المستوطنات البشرية القديمة الواقعة في الأردن، وهو يعتبر من أكبر التلال التي صنعها الإنسان في هذه المنطقة، ويعود تاريخه إلى خمسة

آلاف سنة قبل الميلاد، مما ينيي بأن إربد من المدن الأصيلة في الأزمنة الغابرة.

وتمر الأيام لتكبر هذه المحافظة الجميلة، فارشة ظلها على الشمال من ربوع الوطن، وتعتبر اليوم من أكبر المحافظات الأردنية من حيث المساحة والتعداد السكاني، تجمع بين الطابعين المدني والريفي، إذ تُعد من أكبر المدن في العالم التي تكثر حولها القرى، وهو الأمر الذي يسمها بفرادة التنوع والثراء ويرسم على وجنتيها لوحة من فسيفساء متناغمة معاً، حيث أهلها النشامى الطيبون، وهذا التجانس الاجتماعي الأمثل بين مختلف مكوناتها الاجتماعية بين قراها وحضرها، بين مسلميها ومسيحييها، نسيج اجتماعي فسيفسائي في أبهى الصور وأرقاها من التعايش والمصاهرة والقربى، وجماليات التقاليد والعادات الأردنية الأصيلة. مدينة إربد تقع في قلب المحافظة، في سهل حوران الجميل، وهي مركز المحافظة على بعد ما يقارب 70 كيلومتر من العاصمة عمان، وتعد المدينة ثاني أكبر مدن المملكة بعد العاصمة تعداداً للسكان. ويُقال أن تسميتها جاءت من تحريف الاسم للبلدة الرومانية القديمة "بيت اربل" وقد يكون مشتقاً من كلمة "الربدة" لما

تشتهر به تربتها من حمرة مصحوبة بسواد، ومن صخور بركانية منتشرة في محيط المدينة.

يتخذ المخطط التنظيمي لمدينة إربيد شكلا سداسيا، ويمتد العمران فيها على عدد من المحاور، وهي تشكل مع أويتهما وحدة جغرافية متكاملة بسبب تضاريسها المتنوعة، فنجد الغور المنبسط ذا الطقس الحار صيفاً واللطيف شتاءً، كما نجد المرتفعات العالية والجبال المزدانة بالشجر الكثيف والغابات الحرجية دائمة الخضرة.

وتتميز المدينة بكثافتها السكانية والتنوع العمراني، حيث نجد الأحياء العصرية ذات الطابع العمراني الحديث تنتشر فيها المباني الفخمة والفلل القرميدية، ومن جانب آخر نجد الأحياء ذات المباني القديمة المنتشرة فيها الأزقة الضيقة والحارات الشعبية، والمسكن المكتظة في مخيم الشهيد (عزمي المفتي).

وتشتهر المدينة بشوارعها المزدهمة المزدانة بالأشجار والمتاجر المتعددة والمولات والأسواق الحديثة، إلى جانب التراثي الشعبي منها الذي ما يزال يحافظ على هويته وطابعه العمراني، هنا نجد في قلب المدينة شارع شفيق ارشيدات أو ما يُعرف بشارع الجامعة الذي دخل موسوعة (جينيس) للأرقام القياسية لكثرة مقاهي الإنترنت فيه، كما نجد شارع الأمير حسن وإيدون اللذين ما

يزالان يمثلان رقة المدينة وصخبها الدائم، إضافة إلى الأسواق التاريخية على النمط القديم، كما نلمس جماليات التسوق في شارع فلسطين وشارع السينما المزدانين بالماركات العالمية والالكترونيات والعطور الفخمة، وتشهد هذه الأسواق في فترات النهار اكتظاظاً، كما تحوي المدينة العديد من المطاعم السياحية الراقية والفنادق الجميلة، والمتنزهات والأماكن الترويحية والحدائق والأندية ومكتبات الأطفال.

مدينة إربد كانت بوابة عبور الجيوش الإسلامية الزاحفة باتجاه فلسطين وبيت المقدس، وتظهر أهميتها الكبرى في أنها كانت مستودعاً لأرزاق العساكر الإسلامية وطريقاً للحج الى بيت الله الحرام، وتمر التجار القاصدين الديار المصرية. كما يوجد في المدينة مكتبة تُعد من كبريات المكتبات في الشرق الأوسط، وهي المكتبة الحسينية في جامعة اليرموك.

ويوجد في المدينة العديد من الأسواق المختصة منها سوق الخضار المركزي، وأسواق للبضاعة المستعملة، وسوق للمواشي، وآخر للطيور بشتى فصائلها وأنواعها، وفي المدينة العديد من المعالم التراثية التي تدلل بلا ريب على تاريخ المدينة وعمقها الحضاري. نجد هنا دار السرايا التي يعود تاريخ تأسيسها إلى العهد العثماني،

وقد كانت مركزاً للحكم ومجمعاً للدوائر الرسمية ويوجد فيها متحفاً يتضمن العديد من الآثار لحقب مختلفة. كما يظل في عمق المدينة شاهداً على عظمة الشاعر الأردني عرار (مصطفى وهي التل) أحد أبرز الرموز الثقافية في الأردن، إنه بيت عرار الذي تحول إلى متحف ثقافي إبداعي تُقام فيه مختلف الأنشطة الفكرية والإبداعية، استلهاماً لروح الشاعر وهي ترفرف فوق رسمه هنا، دالة على قيمته الإبداعية والنضالية العالية، كما نجد في المدينة ( متحف التراث الشعبي) الذي تم تأسيسه من منطلق الاعتزاز بماضي الأجداد، ليكون ذاكرة المدينة اليقظة ضد النسيان، وقد أنشئ في بناء قديم في حي البارقة يضم أشكالاً من التراث المادي وغير المادي للمحافظة.

ومن جانب آخر تقودنا الخطى إلى متحف الآثار في إربد، والذي أقامته دائرة الآثار العامة لتوثيق آثار المحافظة على مدار الزمن، ويحتوي على مجموعات مختلفة من القطع الأثرية النادرة. ونجد في المدينة المسجد المملوكي القديم ومسجد إربد الكبير كأبرز معلمين دينيين في المدينة.

ومن المعالم الأثرية الأخرى التي تحفظ سير الرموز الوطنية والفكرية نجد بقايا منزل خلف بك الشراري الذي تمثل حياته

سلسلة من البذل والعطاء الوطني والقومي، في مختلف المناصب التي تقلدها، الذي يشكل بيته نموذجاً فريداً للفن المعماري في تلك الحقبة. كما نجد الدور القديمة التي كانت تشكل مضافات لاستقبال رموز الوطن، من مثل دار النابلسي ودار عبد الله جودة، وتظل مطحنة الملقى هنا من أهم المراكز الاقتصادية في المدينة القديمة.

تتكون محافظة إربد إدارياً من مجموعة من الألوية، وعدد من المجالس البلدية، تغطي هذه المجالس مركز المحافظة والقرى المجاورة، وتقدم هذه الألوية والأقضية والمجالس مثل مثيلاتها في باقي المحافظات، خدمات متنوعة للمواطنين في مختلف مجالات الحياة.

محافظة إربد منجم ثري بمفردات التاريخ والحضارات المتعاقبة، وهي مستودع لكثير من مقومات السياحة الدينية في المملكة، إذ تحتضن العديد من مقامات الصحابة الأجلاء، نجد هنا مقام الصحابي الجليل معاذ بن جبل وهو من القادة العظام في معارك فتوح الشام، وعلى ضريحه هنا بناء يعود للعصر المملوكي، ومسجد ملحق به مكتبة ومرافق عديدة، كما نجد مقام الصحابي الجليل شرحبيل بن حسنة وهو أحد قادة الفتح الإسلامي في الأردن، ودُفن هنا في غور الأردن الشمالي وقد أقيم على قبره

هذا المسجد الحديث البناء. كما نجد هنا مقام الصحابي الجليل  
عامر بن أبي وقاص ومقام أبي الدرداء، وهي مقامات وأضرحة  
تدل على عمق الأردن الحضاري والإنساني، وأنه بوابة الفتح  
الإسلامي لنشر تعاليم الدين الحنيف.

وما يزال هذا السهل الإربدي يخيم في جنباته تكبيرات  
أبطال معركة اليرموك الخالدة التي تمثل أول انتصار للمسلمين  
خارج الجزيرة العربية، كأنما صدى سهيل الخيول هنا يتمازج مع  
سهيل سيوف الحق لرسم أعظم انتصار في التاريخ البشري،  
ولتغدو هذه المعركة النافذة الأوسع التي أطل منها الإسلام الحنيف  
على العالم أجمع.

وتحن الروح إليها، وهي رابضة فوق مرتفعات بني كنانة، إلى  
الشمال من مدينة إربد، تطل بكل هيبة وجلال على نهر اليرموك  
وعلى هضبة الجولان وبحيرة طبريا، إنها أم قيس، جدارا العتيقة،  
حينما كان لموقعها الاستراتيجي ووفرة مياهها نقطة جذب للنشاط  
السكاني في قديم الزمان، إنها المدينة المحصنة التي يزهو الزائر  
عندما يتجول في أروقتها وشوارعها المبلطة، ويزداد القلب فيها  
نبضا، إعجابا بهذه التفاصيل المكانية المدهشة التي تشي بعبقرية  
الإنسان وقدرته على صنع المعجزات.

هنا كل شيء ييوج، كأنما يتهدج بصمت، وأشيا بحكمة التاريخ، ناطقا على غفلة من الزمان أنها كانت إحدى مدن (الديكابولس) العشر، الحلف الروماني المشهور، وأن الطرق التاريخية التي تربط الأردن بسورية وفلسطين تمر منها، وقد مرت بعهود عديدة كل منها أسهم في تطويرها وإضافة لمسات من الجمال الفائق، وأنها اجتذبت الفنانين والفلاسفة والشعراء ليقفوا بين أروقتها مسحورين بروعة التفاصيل، ناشرين إبداعاتهم أيقونات خالدة تتغزل بجدارا التاريخ والعبقرية.

مر بها في الأزمنة الغابرة كثير من الشعراء، منهم (مينيوس) والشاعر الساخر (ملاغروس) الذي شبهها بأثينا للدلالة على أن المدينة صارت مركزاً للثقافة الهيلينية في الشرق الأدنى القديم. وما يذكر أن روما القديمة أهدت جدارا للإمبراطور (هيرودوس) تقديرا لجهوده الكبيرة؛ لتصل إلى قمة ازدهارها في القرن الثاني بعد الميلاد؛ فانتشرت الهياكل والشوارع المبلطة والحمامات فيها. وما يلفت الزائر عند دخوله هذه المدينة التحفة، عبارة منقوشة على حجر الشاهد الذي كان منصوبا على قبر الشاعر (أرابيوس) يخاطب فيها المارين بحكمته الوجودية، قائلا: *أيها المار من هنا كما*

أنت الآن كنت أنا، وكما أنا الآن ستكون أنت، فتمتع بالحياة  
لأنك فان.

تتميز أم قيس بآثارها المحافظة على أشكالها الأولى من مثل  
المسرح الجنوبي والكنيسية البيزنطية وكنيسة المقابر المزينة، شارع  
الأعمدة الغربي، إضافة إلى العديد من الأسواق والمخازن ومجمع  
الحمامات الرومانية والدكاكين المقنطرة وسبيل الحوريات، فضلا  
عن بقايا جسر قديم على شكل قوس كبير مدعم بالحجارة  
الضخمة، وكان يحمل فوقه قناة لتوصيل المياه للمدينة في الحافة  
الشرقية من (الأكروبولوس).

وتعتبر الآبار هنا من أقدم الأنظمة المائية التي استخدمها  
الإنسان لتخزين المياه اعتمادا على تجميع الأمطار المتساقطة،  
وتدخل المياه إلى جوف التربة بواسطة قناة نُحِتت على السطح  
بشكل منحدر، وقد اتخذت أشكالاً مختلفة منها مستطيل سقفه  
برميلي. ويوجد هنا في أم قيس متحف يشمل العديد من القطع  
الأثرية النادرة التي تمثل مختلف العصور التي عاشتها هذه المدينة.

وفي القلب شوق يقودنا إليها، إلى الشمال من مدينة إربد،  
هنا على ضفاف سهول حوران، إنها مدينة الرمثا ببهاتها وجمال  
شوارعها وأسواقها، ما تزال هنا على الحدود مع الجمهورية

العربية السورية، ولفظة رمثا (سيريانية) تعني العلو والارتفاع، أو بمعنى بركة لجمع مياه الشتاء، ومما يقال إنها تحريف لاسمها اليوناني القديم (أرثما) أو (راماثا)، وهي إحدى حضرات سهل حوران ضمن حوض نهر اليرموك، ذات طابع اقتصادي خاص، إذ تكثر فيها الأسواق الضاحجة بالتسوق على مدار الساعة لتوافر البضائع فيها وبخاصة السورية منها، كما أن لها خصوصية فنية تراثية، إذ تشتهر المدينة بطابع فلكلوري مميز في مجال رقصات الدبكة والأغاني التراثية الرمثاوية، ويتبع لها العديد من الفرق الغنائية المشهورة على مستوى محلي وعربي وعالمي، ومن جانب آخر فإن للمدينة حضورا كبيرا في الجانب الرياضي الشبابي، فلها يتبع نادي الرمثا، واتحاد الرمثا، ونادي الطرة الرياضي، كما تحتضن جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية وتمتاز بسهولة اليانعة، وشوارعها التراثية ومبانيها ذات الطابع الذي يجمع بين الريف والمدينة، ويتبع لها العديد من القرى الريفية المميزة، كالطرة (درة الذهب) والشجرة والذنية وعمراوة، وهي قرى ما تزال تختزن من جمال الطبيعة وسحر المكان ما يؤثت الأرواح بالدفء والأمل.

ويظل وادي اليباس كائنا ملغزا بالشعر والماء والعشيات  
العرارية، ها هو إلى الغرب الجنوبي من مدينة إربد، ما يزال طافحا  
بغزارة الماء، وبتضاريس خلافة تجمل تلال الأرض البرية والقيعان  
والأودية في غابة من لغة الشجر والحجر، حيث الصفصاف  
والرمان بكراته الساحرة، والطواحين العثمانية التي تظل بقاياها  
شاهدة على خربير الماء وقمع حوران، إنه شدو الينابيع وهي تزف  
البشارة، بأن للماء حكايته من سوايف الوردات وقصص العشق  
بين الأرض والسماء، ويعتبر هذا الوادي من أكثر مناطق العالم  
حيوية ونتاجا للمحاصيل الزراعية.

هي ابنة التاريخ والكنوز والعمران البشري، هي ( طبقة  
فحل) التي تقع إلى الجنوب الغربي من إربد، (بيلا) اسمها  
القديم، وكانت إحدى المدن العشر في الديكابولس، تمتاز بآثارها  
الرومانية والبيزنطية والإسلامية، تبوح لنا بتفاصيل العالم القديم،  
وبأنها الحاضنة للاستيطان والازدهار، بآثارها المتنوعة والعديدة  
حيث المدرج والكنايس والمسجد المملوكي، وأمكنة أخرى تحتزن  
مزيدا من التفاصيل. وهي تشهد عمليات تنقيب أثري باستمرار؛  
لما لها من قيمة تاريخية ومخزونات لم يظهر منها إلا القليل.

وللماء الدافق عنفوانه هنا، وهو يشكل رافداً سياحياً علاجياً مهماً، إنها الحمة الأردنية التي تمثل مقصداً للزوار والمتنزهين كونها منطقة للعلاج الطبيعي، تحتوي على مجموعة من الينابيع ذات الفائدة العلاجية الكبيرة للعديد من الأمراض، وتساهم حمة الشونة الشمالية من جانب آخر في العلاج الطبيعي بتوفر الينابيع الحارة والمياه المعدنية، وهي تشكل مقصداً سياحياً مهماً لما يجده الزائر فيها من بنى تحتية متطورة، كالقرية السياحية والشاليهات والبرك المغلقة.

محافظة إربد من أكثر محافظات المملكة احتضاناً للقرى والبلدات الجميلة والتجمعات السكانية، تتناثر بشكل جميل على سفوح التلال وفي الموارس المنبسطة والهضاب الخصب، بلدات توشوش للزائرين قصة الإنسان الأردني وهو يبني بلا كلل ويعشق هذا التراب الطهور حد الهيام الشعري تأملاً، في كل مكان إربدي بوح وقصيد، في أوديتها المشهورة بالماء والحكايات، مثل وادي زقلاب ووادي الشلالة بالرمثا، أو في التشكيلات الحجرية الجميلة من البيوت والمساكن القديمة في المزار الشمالي، وفي امتداد السهول في الحصن والصريح، أو روعة الطبيعة في دير يوسف وسحم الكفارات، وتناغم الحياة مع روح المكان في كفرسوم

وإيدون، وفي دير السعنة حيث العديد من المواقع الأثرية في منطقة برسينيا من لوحات الفسيفساء والآثار الرومانية القديمة، وهذا المسجد المملوكي الجميل ببنائه التراثي العريق، أو في غابات برقش الفاتنة التي تمتد كمحمية طبيعية وغابة متوسطة يعود عُمرها إلى مئات السنين، تقع في جنوب شرق لواء الكورة (في بلدة جديتا) وهي تتشابك معا لتمثل أدغالا من الطبيعة الشجرية الغامضة، بسنديانها وخروبها وبطمها، وبأنواع أخرى نادرة ومنها المههدد بالانقراض، إنها غابات من الشجر البري الذي يمثل غطاء كثيفا من التنوع البيئي حيث تختبئ الحيوانات البرية كالغزلان والأيائل والثدييات المختلفة، فضلا عن أنواع من الطيور الجميلة كالطاووس والحجل والحبش.

تقع غابات برقش على جبل ضخم يعود إلى فترة العصر الطباشيري المتأخر، له قمة شهيرة معروفة برأس برقش، وهي قمة عالية تطل على سهل حوران وجبل الشيخ وجبال عجلون والسلط وأطراف فلسطين. ولعل مغارة برقش هنا من أبرز المواقع الطبيعية، وتسمى بمغارة (الظهر) يُقدر عمرها بـ4 ملايين عام، وتُمثل الكهف الطبيعي الوحيد المعروف في الأردن، تتألف هذه المغارة من عدد من التجاويف والممرات الصخرية الضيقة

الطويلة المرتبطة ببعضها البعض في شبكات مُعقدة، تنتشر عبرها صواعد ونوازل كهفية على شكل تشكيلات صخرية جميلة تتدلى مثل قرون الساحرات، تشابه تضاريس مغارة جعيتا الشهيرة في لبنان.

وتتكون المحافظة من تضاريس متميزة بين المناطق المرتفعة والمنخفضة (الشفاغورية) والغورية، وهي ذات خصوبة في تربتها، الأمر الذي أضفى عليها ميزة من التنوع في الإنتاج الزراعي، فضلاً عن انتشار الينابيع والجداول والآبار الارتوازية، كما يوجد بعض المساحات المروية خاصة في مناطق الأغوار الشمالية التابعة للمحافظة الذي تتكاثر فيها مزارع النخيل لإنتاج أنواع ممتازة من التمور، إضافة إلى زراعة الموز والحمضيات والبرتقال، ومساحات واسعة من الخضار الورقية بشتى أنواعها، والمشاتل والبيوت البلاستيكية العديدة.

وتشكل الحرارة العالية وتوافر قنوات الري ومياه نهر الأردن خصيصة خلقت منها بيئة زراعية استثمارية ممتازة، وانتشرت في المحافظة زراعة الحبوب والخضروات والكروم الممتدة من الفواكه الصيفية كالأعناب والتين والتفاح واللوزيات، كما تتوفر فيها مساحات هائلة من الأراضي الحرجية والمراعي الشاسعة.

ومن جانب آخر فإن المحافظة مكسوة بغطاء واسع من أشجار الزيتون من مختلف الأعمار والأنواع، وهي من أكثر المحافظات الأردنية إنتاجاً لزيت الزيتون البلدي. إنه تنوع زراعي ملموس يجعل من هذه المحافظة مكتفية بذاتها.

وفيما يتعلق بالثروة الحيوانية فإن محافظة إربد تشتهر بتربية الحيوانات كالضأن والماعز والأبقار والخراف البلدية والخيول فضلاً عن تربية النحل ومزارع الدواجن، وفي غاباتها الشاسعة تنتشر الكثير من الحيوانات البرية، والطيور بمختلف أنواعها. وهي ثروة حيوانية تشكل في مجملها قيمة استثمارية وغذائية كبيرة، ترفد السوق المحلي بكميات وافرة من اللحوم والبيض ومشتقات الحليب المختلفة.

تتميز المحافظة بنموها الاقتصادي والاستثماري، وقد أطلق جلالة الملك عبدالله الثاني مدينة إربد الاقتصادية التنموية التي تتضمن أربعة محاور ترتبط بالصحة والتعليم والبحث العلمي وتكنولوجيا المعلومات. ولجهد فيها العديد من الشركات الصناعية والاستثمارية، ومنشآت اقتصادية مختلفة في قطاع التجارة وبيع المركبات وصيانتها والسلع الشخصية والمنزلية، فضلاً عن المنشآت في قطاع الصناعة والتعدين.

وتحتضن المحافظة مدينة الحسن الصناعية، وهي مدينة متميزة في القطاع الصناعي والتجاري بتوافر العديد من الصناعات في مجال حياكة الألبسة، والمتوجات البلاستيكية والجلدية والأدوية الزراعية، والصناعات الكيماوية والالكترونية، فضلا عن الصناعات الحرفية اليدوية، وقد أتاحت فرص عمل كثيرة لأبناء المجتمع المحلي، وتتوافر فيها البنية التحتية اللازمة للاستثمار في مختلف المجالات.

كما يوجد مجمع (ساير ستي) المتخصص بصناعة تكنولوجيا المعلومات والصناعات الخفيفة، ومشروع معبر وادي الأردن الذي يشكل منطقة حرة. وتنتشر في المحافظة معاصر الزيتون ذلك لأنها من أكثر المحافظات الأردنية إنتاجاً وتسويقاً لمادة زيت الزيتون البلدي الرائع المذاق. وفي المحافظة العديد من مطاحن القمح التقليدية.

إريد من أكبر الحواضن الثقافية والفكرية في الأردن، وقد اختيرت المحافظة في عام 2007 لتكون مدينة الثقافة الأردنية لتشهد متواليات من الحراك الثقافي النشط في مختلف المجالات، ويُقام في المحافظة العديد من المهرجانات السنوية مثل: مهرجان الحصاد الثقافي، ومهرجان الشباب الشعري، ومهرجان عرار،

ويوجد في المدينة فرع لرابطة الكتاب الأردنيين يساهم في دفع عجلة التنمية الثقافية بشكل ملموس، كما تشهد المحافظة حراكاً ثقافياً وإبداعياً متواصلاً في الفكر والأدب والتشكيل والدراما والمسرح بفضل روابطها وصلواتها وهيئاتها الثقافية المنتشرة في كل مكان، إضافة الى المكتبات العامة فيها الزاخرة بكل أنواع الكتب، وتشرف مديرية ثقافة اربد التابعة لوزارة الثقافة على معظم هذه الفعاليات.

وما تزال المحافظة ترفد الوطن بالكثير من المبدعين في مختلف المجالات الذين لهم حضور في المشهد الثقافي الأردني.

وتتوشح المحافظة بوشاح تراثي بهي مرسوم من خيوط الكرامة والتمسك بالمبادئ والقيم المثلى، بالعبادات والتقاليد الحميدة، تراث يعكس مختلف مكونات المجتمع الإربدي، وما يزال التراث القروي يحافظ على هويته في الزي واللباس الريفي، وعلى صنوف من التراث المادي وغير المادي في تقديم القهوة العربية في مختلف المناسبات الاجتماعية، وفي ممارسة الألعاب الشعبية والفلكلور الجميل والأغاني بأداء العديد من الفرق الموسيقية لل فنون الشعبية، وفي إعداد الأطعمة التراثية المنتشرة مثل المنسف، والمكمورة، والجعاجيل....

وما تزال تتمسك بتقاليدها وعاداتها المتشابهة في أكثر مناطقها، ذات الطقوس الفلاحية الغنية بالدلالات مثل أغاني الحصادين، والدبكات الشعبية، وفي الأعراس التي تحتفظ بتفاصيلها الجميلة من ليلة حناء العروس المزدانة بالأغاني التراثية، والزفة المتشحة بجماليات الأغاريد والزغاريد.

ولأن الشباب عماد الوطن وحماته فقد أتاحت لهم محافظة إربد فرص الترويح عن النفس وصقل شخصياتهم الرياضية، ومن هنا تم تأسيس مديرية شباب إربد التي تبنت برامج عديدة من خلال التعاون والتشارك والتشبيك مع مختلف المؤسسات الرسمية والمدنية؛ لعقد الندوات والمحاضرات وورش العمل، وتضم مجموعة من المنشآت الشبابية المنتشرة في المحافظة، منها المجمعات الرياضية وبيت للشباب ومسرح في المديرية، كما تقوم بتنفيذ فعاليات معسكرات الحسين الشبابية للعمل والبناء، وذلك بتنظيم معسكرات صيفية بتوافر المقومات التحتية من شاليهات ومساح وملاعب رياضية وقاعات للاجتماعات.

كما تنتشر في المحافظة العديد من الهيئات والمراكز الشبابية للذكور والإناث، والأندية الرياضية كالحسين إربد، ونادي

كفرسوم، والنادي العربي، صاحبة الحضور في المشهد الرياضي الأردني في كرة القدم، وهي تمارس تدريباتها ورياضاتها المختلفة في مدينة الحسن للشباب، هذه المدينة الرياضية المتكاملة التي تعتبر رافداً للمنتخبات الوطنية الأردنية في ألعاب التنس والسباحة والسكواش، ومن خلال تسهيل إقامة المباريات والتدريبات للمنتخبات والأندية المحلية، بتوافر ملعب أولمبي لكرة القدم، ومضمار ألعاب القوى، وصالات رياضية عديدة.

وتتميز المحافظة بأنها بوابة العبور للجمهورية العربية السورية من خلال معبرها الحدودي في الرمثا، وبشبكة من الطرق الرئيسية التي تربطها بالعاصمة عمان والمحافظة الأخرى، فضلاً عن الطرق الفرعية والزراعية المنتشرة داخلها التي تربط بين قراها وبلدتها المختلفة لتتيح للمواطنين سهولة التنقل والحركة.

وتظل إربد، ابنة حوران العتيقة، بفتنة موارسها وبلداتها المفعمة بأسرار المكان، يعانق فجرها تاريخاً من الحضارة والبناء، عابقاً بالفتح الإسلامي. وللطبيعة الغناء فيها سحر آخر، من شدة الزهر البري وهمسات الغدران!!



## البلقاء.. أصل الحكاية

ها أنا اكتب مدونتي، بمداد فكري، أبحث عن اللقاء في أعماقي، لأنثر حكاياتها..... وأفتش في مراجع البلدانيات، علي أستنير منها بقبس.

إنه التاريخ، وأصل المكان، ولكل شيء مطالعه، كأنما أسمع وقع أقدامه هنا، حيث وقف (سالتوس) في قديم الزمان، وهو القائد الذي قيل إنه بنى السلط، وأقام على مرتفعات زي معبدا للإله زيوس، بين غابات السنديان والبلوط، ويظل يجرس المكان، كي ينهض من أعماق الزمان، حاملا وصايا قائده الإسكندر المقدوني.

ها أنا أفتش عن مدين في البلقاء، قوم شعيب، إذ سكنوا جنبات الوادي، ويظل المقام شاهدا على سعي شعيب نبي الله إلى قيم الحق والفضيلة.

ويوشع بن نون حامل مشاعل النبوة، على الطف مقامه، يدلل على عمق حضارة البلقاء، وعلى مبادئ الخير والتسامح،

وأن الحكمة من تنجي من هذا الشقاء، إنها بلاغة المكان وأحاسيسه الناطقة.

ولي منه معراج للرؤيا، مكان يختزن انطلاق دعوته، المسيح عيسى بن مريم، إذ عمدته يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) على الضفاف الشرقية لنهر الأردن، في الماء المقدس، في وادي الخرار، إنه المغطس، تهواه قلوب المؤمنين، تفتش عن الوثام والانسجام مع روح الطبيعية، والكنائس على مرأى مني تشي بعظمة هذا المكان، لأنقش فصولاً جديدة في مدونتي، فصولاً تسطر كينونة إيمانية في هذا المكان الجليل، وأنداح فيه متسائلا، باحثاً عن تفاصيل أخرى، أكثر عمقاً وبهاء.

وأهبط إلى قاع الحكاية لأقرأ مبتدأها، أستلهم من ذاكرة المكان ما بقي، ما أبهى المغطس، للماء لغة علوية وتسايح، في كل قطرة بيان، ترائيل الماء ماتزال تعكس كالمرايا ذلك العماد، في هذه البقعة الطاهرة، على مرأى من شجيرات بجانب القلب.

وهو القلب العاشق إذ يرحل، إنما يوغل في صبابته على ذكريات لا تغادر المكان، كأنما نبض قلبي ينزع عن التاريخ أستاره ليضع مجدداً، نابساً بأنه الأردن مهد الديانات والحضارات.

هو غور الأردن البهي بتفاصيل الشجر والحر والأزمة  
القديمة، مطارح الزهر ومقامات الصحابة الذين روى الأرض  
بطهر دمائهم، لتنبجس الحياة من قدسية الشهادة والفداء. وما  
يزال للتاريخ رائحته، هنا، حيث تحتضن البلقاء مقام أمين الأمة،  
أبو عبيدة عامر بن الجراح، وهو ينسج بطولات الفتح الإسلامي  
رداء يقي من الشمس، ولكنه بالمرصاد، طاعون عمواس.

ويشي الصمت به إذ أستذكر بطولاته، ضرار بن الأزور  
وجنات المكان الحجري تتوشح به، ويصهيل خيل فتوحات  
الشام، وترشدنا الأقواس إليه وهو يرقد هنا، مغطى بكبرياء  
الشهادة ولون الشجر العصي على طارقات النوى، إنهم الحراس  
القدامى لهذا المكان.

وأسافر في فضاءات الورق، لأكتب في مدونتي مزيداً من  
فصول المكان، وتجليات الحكاية، لأن البلقاء عشقي ونبضي وإليها  
ارتحالاتي. وتطل البلقاء على فصول جديدة للحكاية، لتبحث عن  
حراسها الجدد.

وحراسها قرييون. في أغصان شجرة الملول العتيقة، المزدانة  
بالعلق والشراشب الخضراء، أعقد خيطي لأجلب حظي السعيد،  
إنها الأمانى القادمات أستعجلها لعلني أفهم أسرار الحياة، وأدلف

مقام الخضر عليه السلام، وأوقد شموعي لتنير لي فصلاً جديدة في مدونتي، تحكي عن اللقاء، وقد خرجت من عباءة التاريخ.

كأنما همس الطبيعة يعيد ترتيب مدونتي، إنها الحقول إذ تهمس لي بعشقها لموارس اللقاء، وللإنسان الذي يعمر البلاد بنبض قلبه، وبجبه للأرض والطبيعة.

وتشي الحكاية بتفاصيل أخرى، لمة الخلان والأحبة، في حوش الدار، والقهوة العربية الأصيلة رمز لحسن الضيافة، وللسواليف وقع إذ تتحول إلى بوح شعري يشي بحب اللقاء، لعاداتها وتقاليدها الأصيلة. إنها المشاوير الجميلة، وحكاية الأبواب العتيقة المشرعة على الخير، إنها علاقة الإنسان بالمكان، مفتوحة على نوافذ من العشق، والتواصل المجتمعي الحميم.

ويظل تراث اللقاء حاضراً، حطب يحرك اشتياق النار لتبوح للصباح القروي عن تناغم الإنسان البلقاوي مع مفردات التراث. على عتبات الذاكرة، شوق جامح لزمن مضى، أنا أرقبهم وأسمع بعضاً من تفاصيل مدونتي، يهمسون بها إليّ، وأنا البعيد أكثر مما ينبغي. لكنني القريب حدّ الغياب.

أنا من اعتاد الدروب ليفهم أسرار هذا الوجود، هنا في كفرهودا، أهيم بنظري في الفلوات، أمام هذا البهاء، أكتب عن

سحر الأمكنة الخالدة. وأكتب عن السلط مدينة الأوائل بترائها العريق، مدينة أول غرفة تجارية في الوطن العربي، وأول مسجد بني بعمل تطوعي، وأول بلدية في تاريخ الأردن، إنها العراقة بأبهى الصور والتجليات.

وتظل اللقاء تجمع في عينيها الحب والأمل بغدٍ أجمل، توشوش لنا مزيداً من بريق الحاضر وتجليات المستقبل. وأفتش مجدداً عن كنوزها، لوحاتها البكر، أمر بها وادياً وادياً... ولا يكف قلبي عن عشق تفاصيلها، لأنها اللقاء، أرضُ التين والزيتون، وسلّة الغذاء التي لم تعرف الجذب وعاديات سنين القحط، لأن الماء شريان الحياة فيها، خرير تنبعث موسيقاه عذبة، جداول تشي لي بكرم الأودية وعطائها، الماء هنا سر أزلي، ووادي شعيب ييوح في غمرة الشعر، يرسل مواويله على مسامع الدفلى وهي تغني، ويقول: كأنما يهمس لي الماء، بأنه إلى سد الكافرين يمضي، وأن الحرف لا بد أن يلتحم باللغة الأم، لتنمو المعجزات.

وأزهار جادورها إذ تبوح: 'يا سلط يا أم المدائن، يا العي منها  
تخبرت السماء لجهومها..، كأنما الملح طيفه هنا، حسني فريز، يغازل  
هذا السحر وينشد:

- أنا لستُ نهراً في التدفق إنما أنا سلسلٌ من نبعها السلسالِ

ولسوف اكتبُ للعيون قصيدةً كزهورِ رَمَانٍ وَحَمْرِ دوالي..  
وتعود القطرات تستنهض الشجر الجميل والزهر البري،  
لأرسم في مدونتي وادي السلط وهو يثر فلسفته في اللون وشعرية  
الصور، إنها القصيدة بتفاعيلها، فالمكان يكتب الشعر أحيانا،  
ويظل نعاسُ الزهر قوافٍ يستجلي حسنَهَا النظرُ، يغمضُ أجفانه  
على نواعمها... فيضيء جنباتِ القلبِ السَحْرُ.

ويستهويني فوق مرتفعات الرميمين، أب العيال، ومن أنشد  
تراتيله.. و(يرقا) تستنهض همم الفلاحين في البلقاء، الذين عشقوا  
مساماتها، فظلت الحانية.

وأظل القروي الوفي، هنا في موارس (عيرا)، ها أنا في حقلي،  
أسيّجه بنظراتي الخائفة عليه، وأحميه من كل معتد، لأرضي رائحة  
الأجداد، وفي خضرة النبت مداد للنهوض والبقاء، أنا حارس  
القرى وبساتينها، أنا لحنها الأبدي، أزفُ إليها البشارة، لتينها  
وزيزفونها، في منجلي الصغير مسعفاتُ الدجى، أمطارُها  
ومزونها.

وأعود لأنقش مواعيدَ الغور في مدونتي، مواعيدَ الخصب  
والنماء، والتفافَ الشجر بالشجر حكايا النبض والخير العميم. في

غور البلقاء للشجر المثمر عطاؤه، والعناقيدُ بوحٍ بقرب القطاف  
والحصاد، إنها الفردوس، ومن تهب خيراتها للإنسان بكل سخاء.  
منذ قديم والأرض لغة وبلاغة عطاء، وفي البلقاء جنات  
معروشات. وفي الظلال يرسم النخل أحلام اخضراره القادم.  
وعندما تنغلق أقواس الحكاية رويدا، تهمس لها السنابل بمواعيد  
المواسم القادمة، وبأحلام الطفولة وهي تمرح قبيل مساءاتها،  
باحثة في روايي البلقاء عن أرجوحة من المحتمل أن الغيم خباها في  
أحد الحقول. ولكيلا تنتهي فصول حكايتي وتغيب، أنهض قبيل  
العتمة لاستلهاهم من روح الشجر ما أتزود به لليل الكتابة.

وبعيد الفجر بقليل، أرى النشميات في مدونتي يرقبن بهاء  
المشهد، يمدقن في تفاصيل السلط من سفوح السلام، إنه الحنين  
الأبدي للمدينة الموشحة بقصص الإنسان. كأنما هو الرجوع  
للبحث في تفاصيل اللوحة المكانية، بواسطة شخوصي الأنتوية  
الثلاثة، عن مشاهد أكثر عمقا، قد تكون البؤرة والمركز في القلب  
النابض بالحنين.... وهم سرب الحمام منخفضاً كأنه نثار الغيم من  
الهديل، ليشي بألعاب طفولية تراثية على سفح جبلٍ في مدونة.

وبالوانهم أعيذُ رسم تفاصيل المكان كرةً أخرى؛ ليظهر من زوايا المخيلة، أحتمله لأفهم أسرار اللون والوقت مجدداً... لأفرح وأكتب المشهد في مدونتي، إنه التعايش الديني الأمثل.

وأعودُ لأرقبَ أسواقَ السلط العتيقة، نبض حياة وعمران، إنه التمسكُ بأسرار الحرفة والشرفات شواهد، لا بد للحرف التقليدية من بقاء لأنها الأجل، ومن تشعل فينا الشوق للأيام الخوالي، بعيداً عن الأضواء الخادعة، في أجمل إيقاع. تجتمع العائلات في تلاح جلعاد، في طقس من الوئام مع النفس، والرجوع إلى حضن الطبيعة الأم، ليسكب الشاي الساخن في مدونتي أحلاماً تقي من ضجيج المدائن.

وفي البلقاء ماتزال الحرف اليدوية التقليدية تُمارس بهمة لا نظير لها، إنه الحفاظ على الهوية، والاشتغال على جماليات التكوين. لعلي أستريح هنا قليلاً... ثم أعاود رسم مشاهد جديدة... مشاهد تجليها التكبيرات في فضاءات المدينة وهي تصحو من النعاس.

ولمسجد السلط الصغير عراقته، يحافظ على روعته معلماً دينياً بارزاً لا يمحوه النسيان، عند غبش الفجر يوقظ النائمين، لينبجس أمامهم هامساً بأنه الدرة الثمينة، ومن بناه الأجداد

بالتكافل والتعاون، وأن الخير يدوم. والتعليم في البلقاء فجرُ  
الحكاية وأصلها، كأنما هؤلاء الفتية يصطفون ليرسموا أحلام  
غدهم بالتزامن مع رفعة الوطن وعلو شأنه.

وللتعليم العالي حكايته في مدونتي، إذ أنشئت جامعة البلقاء،  
هنا على هذه الربوة العالية، لتقدم مساقاتها التعليمية المختلفة،  
لترفد الوطن بمجربين مهرة في المجالات كافة، مزودين بالعلم  
والمعرفة والفنون. وفي المسار التكنولوجي للبقاء حضور وأصالة،  
وهي تشهد تطوراً في المجالات الطبية وفي الصناعات الدوائية  
باستخدام أرقى التقنيات والأيدي الماهرة.

لم يمت هذا البحر، لأن للملح عطاءه، ولأنه البقعة الأخفض  
في العالم، ومن أبرز المواقع السياحية في البلقاء، إنه مقصد علاجي  
واستجمامي فريد في الدنيا، يشده الزائرون من مختلف بقاع  
الأرض. لعلني أستجدي الغياب لحظاتٍ من البوح، قبل أن أنهي  
مدونتي التي أحببْتُها، وهي تفتش عن كنوز البلقاء تاريخاً وحاضراً.  
وأنقش على ما بقي من ورق حلمهم العائلي بأن تظل  
البقاء بهية على مدار الزمن، لأنها الأجل في تلاها وروايتها، وفي  
قيمها العريقة التي تحافظ على صلوات الرحم والتزاور بين  
الأقرباء، إنهم حراسها، هنا. وهناك في الفحيص، يظل حراسها

الآخرون، يللمون أحلامهم وقوافي الشعر الجميل، ويهزجون لها  
أجمل التراويد.

وتعود اللقاء لترسم أحلامها في ما تبقى من كلام، تشي بأنها  
على العهد وفيّة، وتهمسُ لي: ربما تُغلقُ نصفَ نافذة الحكاية،  
ولكنّ القمرَ لن يغيب!!.

## بوابة النصر

لأنها معراج الرؤية والرؤى يشتاق القلب إليها، ليصعد في ملكوته نحو الألق واستلهاام دروس التاريخ، إنها ( قير مؤاب ) كير حارسة، من تحرس الحلم المفضي إلى النصر والكينونة العليا، والتي ورد ذكرها في نقش ميشع ملك مؤاب: " أنا الذي بنى المكان المقدس لكموش في كركا .

إنها الكرك، سيدة الحكمة والنضال، جوهرة الصحراء وسادنة الفصول، والتي يعود تاريخها إلى العصر الحديدي قبل الميلاد، وقد تعاقبت عليها حضارات شتى، كما لعبت دوراً مهماً على مدار التاريخ كونها حامية لمدينة القدس، والحد الفاصل بين الشمال والجنوب، ولموقعها الاستراتيجي المهم كمحطة للمراقبة على طريق الحجاج.

ويعود تاريخ الكرك إلى المؤابيين الذي أسسوا قلعتهما السماء، ثم ازدهرت في العصور اللاحقة النبطية واليونانية والرومانية والإسلامية، وفي العهد الأيوبي توسعت إبان عهد الملك الصالح أيوب لتصل حدودها من الجوف إلى دمشق الشام، وقد شهدت

استيطاناً بشرياً يعود إلى العصور السحيقة؛ مما يدل على أهميتها التاريخية ويضفي عليها بعداً حضارياً لا يُضاهى.

وفي مطلع القرن العشرين لعبت دوراً نضالياً بارزاً في الوقوف ضد الفساد الإداري للدولة العثمانية، والظلم والطغيان، وتبلور الموقف الشعبي بثورته المجيدة (الهبة) التي انطلقت شرارتها عام 1910، والتي قادها زعماء محليون من أبناء المحافظة؛ لكي يعلو صوت الحق، وتتسامى الروح التي تأبى الضيم وتبحث عن الهوية، وتظل (الهبة) في وجدان الأردنيين حركة نضالية تؤسس إلى قومية عربية تأبى الزيف وتعيد بناء كرامة الأمة.

وتمر الأيام، لتظل الكرك مرآة تعكس الحق والخير والجمال، بهضابها وسهولها الفسيحة، فارشة ظلها على جنوب الوطن على بعد 130 كيلو متر من العاصمة عمان، على الهضبة الأردنية التي تنحدر باتجاه البحر الميت، ذات موقع متوسط بين الأغوار من الغرب والبادية الأردنية من الشرق، وإلى الشمال منها محافظة مادبا وإلى الجنوب محافظة الطفيلة، ذات إطلالة على وادي الموجب الساحر في الشمال ووادي الحسا في الجنوب.

وتمتاز المحافظة بمناخ البحر الأبيض المتوسط، حيث الاعتدال صيفا والبرودة شتاءً، وفي المناطق الغورية يختلف المناخ فيكون

حارا وجافا في الصيف ومعتدلا في الشتاء.إنها مرتع الألق والجمال، حيث أهلها النشامى الطيبين، وهذا التجانس الاجتماعي الأمثل بين مختلف مكوناتها الاجتماعية بين قراها وحاضرها، بين مسلميها ومسيحييها، نسج اجتماعي فسيفسائي في أبهى الصور وأرقاها من التعايش والمصاهرة والقربى.

مدينة الكرك تقع في قلب المحافظة، ولفظة الكرك أرامية تعني القلعة أو (المدينة المحصنة بأعلى التل) وصفها البلاذري في (فتوح الشام): 'وكانت مدينة هذه الكورة في القديم العرندل'، وهي ذات خصوصية فريدة، حيث تبدو للناظر من بعيد تحفة بنائية تراثية فوق هضبة مثلثة الشكل، تحيط بها أسوار أثرية تمثل بقايا من معالم المدينة القديمة، وتجللها القلعة السماء التي ما انفكت تحرس المدينة من عاديات السنين.

ولا بد للزائر وهو يدخل المدينة أن يقطف أول الدهشة عندما ينعرج في شوارعها الضيقة وقد تلاصقت المباني ذات الطراز العثماني الإسلامي على الجانبين، وهي مبنية من الحجر الجيري الأملس، لتفضي به إلى شوارع أخرى مبلطة، ذات عراقة وأصالة لا مثيل لهما، إنه الجمال الفطري وعبقرية الإنسان، حيث البساطة والعمق معا، في لوحة بشرية مذهشة. إنه سحر الشرق وعنفوان

الحياة الريفية بطابع مدني بسيط. تدهشك أيها الزائر المتاجر التراثية ومجلات بيع التحف والهدايا والتذكارات، والخوانيت العتيقة التي تباع لوازم الفلاحين، وتظل مشدودا إلى لحن الحياة الأصيل في هذه الأزقة التاريخية التي تحضن بين جدرانها عراقة الماضي وأصالة الحاضر.

إنها تفاصيل المدينة المسكونة بالزهو، المكتوبة بمداد التاريخ العفوي، حيث تتوشح بالعديد من السياح الذين قدموا من مختلف أقطار الدنيا لزيارة قلعتها الرائعة، وبالعابرين والمتسوقين الذين عشقوا الكرك حدّ الهيام فساحوا في زقاقها حاملين أحلامهم وذكرياتهم التي ما برحت بين الجدران هنا.

في هذا الشارع ثمة رموز تطالعنا، لتحكي ماضي الكرك العتيق، هنا نجد المسجد الحميدي الذي يحتزن ذاكرة المدينة الدينية وهو من أقدم المساجد في المحافظة، سُمي بهذا الاسم نسبة إلى السلطان العثماني عبدالحميد الثاني، وما يزال يشكل معلما بارزا في المدينة بتحفته البنائية العريقة، إضافة إلى برج الظاهر بيبرس، وعليه شريط نحتي وشعار الأسد، وهو يمثل إنجازات القائد المسلم الظاهر بيبرس وإنجازاته في الكرك، وهو أحد أبراج القلعة التاريخية الشهيرة التي لا بد للزائر من الوقوف جلياً أمام هبتها، هذه القلعة

الحصينة وهي تؤرخ لمسارات التاريخ، التي يرجع تأسيسها إلى الدولة المؤابية لتكون معبداً لإلههم (كموش)، ثم أعيد ترميم أسوارها وتجديدها في عهد الدولة الأيوبية إبان حكم الناصر صلاح الدين الأيوبي الذي ازدهرت الكرك في فترة حكمه أما ازدهار، والذي يقف تمثاله الآن في قلب المدينة، شاهراً سيفه نحو القدس العربية. وقد وصفها ابن بطوطة في كتابه "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" قائلاً: "ثم يرحلون إلى حصن الكرك، وهو أعجب الحصون وأمنعها وأشهرها، والوادي يطيف به من جميع جهاته".

وتحيط بها الأودية من جهاتها الثلاث، وأمامها أخدود من الصخر الصلب، لتربض كاللبوة الحجرية مشرفة على فلسطين وغور الأردن، وقد وصفها ياقوت الحموي بأنها: قلعة حصينة جداً في طرق الشام، ومن نواحي البلقاء، جبالها بين آيلة وبحر القلزم وبيت المقدس". وقد ورد في نقش الملك ميشع المؤابي: "أنا الذي بنى المكان المقدس لكموش الإله في كركا، إنه مكان عال".

وبحسب الكثير من المؤرخين فإن القلعة كانت قائمة قبل مجيء الصليبيين الذين أضافوا وزادوا عليها، وقد شهدت في العصر الحديث المزيد من التطوير والتحسين وأعمال الصيانة التي شملت

مرافق القلعة وأسوارها وأبراجها؛ لتكون قبلة للسياح والمتزهين والباحثين عن عطر التاريخ وأصالته. وكانت هذه القلعة تؤدي دورها الدفاعي باقتدار في العصر الإسلامي؛ لأن المسلمين اهتموا بالقلاع القديمة، وعملوا على تقويتها والزيادة عليها بما يحقق الأغراض الدفاعية والعسكرية، ومن هنا فهي من أهم القلاع في بلاد الشام وأجلها. وقد ألحق بها متحف يحوي الكثير من الآثار النادرة والقطع الأثرية التي تؤرخ إلى مختلف العصور التي عاشتها مدينة الكرك على مدار التاريخ.

هنا إلى الجنوب من مدينة الكرك نجد بلدة المزار الجنوبي بسهولة الغناء، إنها إحدى البلدات المشهورة بمعلمها التاريخية الدينية، وذلك لاحتوائها على الكثير من مقامات الأنبياء وأضرحة الصحابة، وهي مقامات تمثل في الوجدان الشعبي قداسة من نوع ما. إنهم هنا، يهفو القلب لذكراهم وهم يسطرون أروع الأمثلة على الشهادة والبطولة من أجل قيم الحق والعدل، ونشر تعاليم الإسلام الحنيف في شتى البقاع، هنا مقامات ثلاثة من أبطال معركة مؤتة الخالدة الذين استشهدوا على ثرى الأردن وهم يسعون في الأرض إصلاحاً بعد فساد.

والزائر تستقبله ساحة صغيرة مزدانة بشجيرات الصفصاف الجميلة، يتوسطها نصب مكعب الشكل مكتوب عليه أسماء الجلالة بالخط الكوفي، وعلى مقربة نصب آخر كبير على شكل كتاب تاريخي مفتوح كُتبت عليها أسماء شهداء معركة مؤتة، إنه الهدوء المطلق هنا، واستشعار معاني الكرامة والجهاد في سبيل الحق والخلود للنفس البشرية، هنا نجد مرقد جعفر الطيار بن أبي طالب، أحد القادة، والذي هاجر الهجرتين وفقد ذراعيه في المعركة، إنها روضة إيمانية بهية تسكن فيها الروح وتخلد. وعلى مقربة من مرقده متحف يشير إلى تلك الواقعة الشهيرة في التاريخ الإسلامي. وقد تم إعداد هذا المكان التاريخي بكل مقومات السياحة الدينية من أروقة ومساحات ومصليات ومظلات ومرافق متعددة الأغراض.

ويشير المؤرخون أن "الظاهر بيبرس هو من جند قبر جعفر الطيار ووقف على الزاكرين له شيئاً كثيراً، وأن مقام جعفر هذا تحول إلى مركز ديني وتعليمي" وقد بُني هنا مسجد حمل اسمه إذ يشمل هذا المسجد الجميل البناء على قاعات واسعة المساحة تعلوها قبة رئيسة ومئذنتان، وتحيط بصحن المسجد أروقة من الاتجاهات كافة.

ويتابع القلب نبضه ليصل إلى مقام ومرقد الصحابي الجليل  
عبدالله بن رواحة أحد الشهداء من قادة معركة مؤتة، يحتوي على  
المركز الثقافي الإسلامي، وأروقة ومدرسة شرعية ومرافق سياحية  
عديدة. أما مقام الشهيد القائد زيد بن حارثة فهو بناء حديث في  
داخله الضريح، ويرتاده الزائرون من مختلف بقاع العالم الإسلامي  
لاستشعار روح هذا القائد العظيم الذي قدم حياته تضحية وفداء  
لإعمار الأرض بالقيم العليا. كما نجد مقام النبي سليمان عليه  
السلام في قرية صرفا وهو مبنى مربع الشكل. وقد تم إيلاء هذه  
الأضرحة والمقامات كل العناية والاهتمام، ويعتبر مشروع الإعمار  
الهاشمي لمقامات الصحابة الأجلاء من أهم المشاريع وأنبؤها،  
الذي تتولاه اللجنة الملكية لمساجد ومقامات الصحابة، لتحقيق  
هدف الوصول إلى صياغة عمرانية وتخطيطية تعمل على تجسيد  
المثل والقيم السامية للصحابة والشهداء، فضلا عن توضيح  
الأبعاد الدينية والتربوية والثقافية، وسيشكل هذا المشروع  
حافزاً للتنمية العمرانية ودليلاً تخطيطياً حول أشكال التنمية  
الحضرية المستقبلية، هنا، في المزار الجنوبي. إنه مشروع يبرز  
القدسية عنواناً، ويجعل من هذا المكان قرية إسلامية متكاملة تروي  
التاريخ الإسلامي ينبض حياة ومشاعل هدى.

في سهل مؤتة دارت رحى المعركة، وفي زوايا الذاكرة نجد هنا أهم الآثار الإسلامية الباقية، (المشهد) وهو تلة صغيرة من الحجارة والتراب في أعلاها بقايا قنطرة في داخلها قبة مبنية من أربعة أقواس تهدم منها ثلاثة، وفي داخل القبة ضريح رمزي لجعفر بن أبي طالب، وهو رمز تذكاري يعود تاريخه إلى العهدين الأيوبي والمملوكي.

كما يقع مقام النبي لوط عليه السلام في بلدة غور الصافي على سفح الجبل الشرقي لها، وهو عبارة عن بناء مستطيل الشكل فوق مدخله مثلث وكوة وثلاث نوافذ جانبية. ويُشار إلى أن كهف النبي لوط كونه الطبيعة، وأنه استُخدم لأول مرة في العصر البرونزي المبكر اعتقاداً من الباحثين أن النبي لوط عليه السلام لجأ إليه بعد حادثة الخسف التي دمرت مدينة سادوم وقد بُني متحف بالقرب من المقام أطلق عليه متحف (أخضض بقعه في العالم) ليكمل منظومة المواقع الدينية الممتدة على طول غور الأردن.

كأنما شاعر الأردن الكبير عرار وقف هنا في يوم غائم لينشد:  
- "وقلن للصحب واروا بعض أعظمه في تل إريد أو في سفح  
شبحان"

هنا نقف على مقربة من هذا الجبل الأشم (شبحان) الذي يُعتبر أيقونة طبيعية ووجدانية في الكرك، تدلل بلا ريب على التعانق الوجودي بين الإنسان والمكان؛ لتشكيل عنقود مضيء من الفداء لتراب الأرض الطهور، لهذا الجبل الذي يُحاط بالأودية السحيقة من الغرب والشمال الشرقي، أحاطه سكانه بالأسوار منذ العصر البرونزي المبكر، واختاره المؤابيون ليكون عاصمتهم، وقد حمل اسم سيحون ملك الأموريين.

وعلى مرأى من هذا الجبل نرى البهاء الطبيعي ونسمع المحاورات السرية بين الجمال والجمال؛ للبحث عن أفق جديد من فتن الطبيعة البكر، هنا في وادي الموجب كل شيء صامت، لكنه صاحب في الثروة والتأثير في الزائر حد الهيام ... نقرأ الوادي على مسلة الملك المؤابي ميشع: 'وعبدت الطريق في وادي الموجب' إنه (أرنون)، وإن مياهه هنا تنحدر لتبعث هديرًا، ضجيجًا من نوع مختلف، من إيقاع موسيقى الطبيعة وأسرارها، ومن يقف هنا على أحد جانبي هذا الوادي الساحر يشاهد طريقاً كالأفعى الأزلية تنحدر ثم تصعد، ويشاهد الهوة العميقة التي أحدثتها الهزات الأرضية في الأزمنة البعيدة، إنها رهبة المكان وعطاء أمنا الطبيعة بكل سخاء، برغم من شح السنين في أوقات ما.

وفي هذا المكان الفطري المدهش نرى (محمية الموجب) التي تقع على طول البحر الميت، وفيها مواقع أثرية تمتد من العصور القديمة إلى العصور الإسلامية. وتوفر هذه المحمية للسياح رحلة من المغامرة في نهر الموجب، وتسلق الجبال الشاهقة ومشاهدة الطبيعة الخلابة، ورؤية العديد من الحيوانات البرية وأنواعا مختلفة من الطيور. ومن آثار وادي الموجب بقايا آثار نبطية وقلعة رومانية تسمى محطة الحج.

هنا تسحرنا (الطيبة)، هذه البلدة الكركية الرائعة وهي تطل على البحر الميت والأغوار الجنوبية، حيث تضاريسها الخلابة وجبالها تتسابق نحو العلو، وهي أكثر بلدة من حيث المساحة في محافظة الكرك، وتشتهر هذه البلدة الوادعة بكثرة ينابيع المياه فيها، كما يوجد فيها مغارة (القعير) الأثرية، المجوفة في صخرة على سفح تلة تشرف على مزارع الزيتون والكرمة، وعلى المياه المنسابة بركة شعرية من عين (سُراقة) التي سُميت بهذا الاسم نسبة إلى أحد شهداء معركة مؤتة (سراقة بن عمرو)، وتشير التصاميم والنقوش في سقف هذه المغارة الأثرية على امتلاك ناقشيتها لمهارات فنية عالية وأدوات حفر قيمة لتشكيل هذه التحفة الفنية.

إنها الكرك، منجم ثري بمفردات التاريخ والحضارات المتعاقبة، كل شيء هنا له دلالة الخاصة والمعنى المختوم، هنا في (البالوع) إلى الشمال الشرقي من بلدة السماكية، نشاهد أرضاً سمراء تناثرت فوقها الحجارة البازلتية، تدلل على العمق التاريخي لهذه البلدة في مختلف العصور، حيث مسلة (البالوع) وهي من حجر البازلت في أعلاه كتابة من أربعة أسطر ورسم لثلاثة أشخاص، وتشير الدراسات إلى أن تاريخ هذه المسلة يعود إلى أحد العصور الفرعونية.

ويعود السحر الحلال لأمننا الطبيعة بالتجلي هنا في وادي (بن حماد) هذا الوادي الخلاب الذي يعتبر مقصداً للمغامرين الباحثين عن أفق آخر للجمال وقوس متعدد الألوان من بهاء المكان، يرتاده السياح من مختلف بقاع الأرض للاستجمام والاستمتاع بمياهه المعدنية، واد مكسو بالدفلى والأعشاب المائية بين جبال شاهقة، تتدفق شلالاته من شقوق علوية عبر حدائق غناء وصولاً للبحر الميت في آخر المنحدرات. إنه مكان مرصود بأغاريد العصافير، حيث مياهه الصحية ومواقع التخميم، وبرك المياه المعدنية الساخنة، كما يجلو للمغامر هنا السير عبر سيق يمتد إلى بعض كيلومترات،

في عمر صخري تزينه جداريات من غموض المكان وأسراره،  
ولوحات مرسومة بإبداع لا مثيل له.

ومن الأيقونات التاريخية المهمة في الكرك، نجد معبداً وقصراً  
أثرياً جليلاً في بلدة القصر إلى الشمال من مدينة الكرك، التي  
أخذت اسمها من هذه التحفة الأثرية، ويعود تاريخه إلى الربع  
الأول من القرن الثاني الميلادي، ويتميز بضخامة حجارته،  
وتعددتها، وهي منحوتة على أشكال ورسومات نباتية وحيوانية،  
إضافة إلى وجود ثلاثة مداخل لهذا المعبد، ونظام تزويد وتصريف  
معقد للمياه، إنه تحفة تظل شاهدة على عبقرية الإنسان والزمان  
والمكان.

وتشير معظم الآثار الموجودة في بلدة الربة (ربة مؤاب) إلى  
فترات تاريخية متعددة، وبأن هذه البلدة كانت مركزاً مهماً على  
الطريق السلطاني المملوكي القديم، بهذه الأعمدة المنحوتة  
والمزخرفة، والمعبد الذي ما يزال قائماً وعلى جانبي مدخله  
مخرجان صغيران، وفي الجهة الجنوبية بركة قديمة.

ولا تقل الآثار المكتشفة في بلدة (ذات راس) شأناً، إذ تتواجد  
بقايا هياكل رومانية استعملت حجارتها لبناء المساكن، كما يوجد  
هنا ضريح روماني يعود إلى القرن الثاني أو الثالث الميلادي،

فضلاً عن التحفة الأثرية (قصر البنت) و المآذن العتيقة وبقايا قرية تاريخية قديمة.

ومن الآثار الباقية في محافظة الكرك نجد قلعة القطرانة الرومانية القديمة في بلدة القطرانة ذات الطابع البدوي الأصيل، على الطريق الصحراوي الذي يربط محافظات المملكة بساحل العقبة المائي، وهي قلعة أثرية مهمة لعبت دوراً كبيراً في حماية طريق الحجاج، وبالقرب منها نجد بركة تمثل خزان ماء مستطيل الشكل، ويعتقد أنها بركة رومانية الأصل أعيد استخدامها في عهد الأتراك. كما نعثر في لواء القطرانة الصحراوي شرق محافظة الكرك على (قصور بشير) التاريخية، وهي ثلاثة قصور أكبرها (قصر بشير)، تفصل بينها مسافات، وهي قصور شاذجة تمتد في جذر التاريخ لأكثر من ألف عام، محاطة بأبار وبرك للماء ومُغر تخزين الحبوب والمواد التموينية، كما نجد قرية سد السلطاني الوادعة الجميلة، ويوجد فيها سد ترابي يعتبر من أوائل السدود المائية في الأردن.

إن عين سارة هنا من أجمل الينابيع في محافظة الكرك، وأكثرها ارتيادا من قبل المتزهين، تنبع من أسفل الجبل الذي بُنيت فوقه مدينة الكرك وقلعتها، عين ماء غزيرة تغذي البساتين والمزارع،

ويعتقد شعبياً أن سبب التسمية تعود إلى حكاية وقوف سارة زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام على هذه العين وشربها منها، ومن الأغاني الشعبية الكركية نستمد قيمة العين في وجدان الكركيين عندما يغنون: "هذه الكرك كركنا وعين سارة ميتناً وذلك لأنها أيقونة في الذاكرة الشعبية الجمعية، وقد شهدت الكثير من طقوس الأفراح، وبخاصة غسيل أصواف فرش العرسان. إنه الماء حيث يغدو نبضا يشي بعصب الحياة، ويشكل حبلا سريا يمتد من أعماق الجبل المحتضن المدينة، إلى الأودية الغورية، كاشفاً الكثير من تفاصيل الحكاية.

محافظة الكرك ذات تضاريس متميزة بين المناطق المرتفعة والمنخفضة (الشفاعورية) والغورية ذات الخصوبة في تربتها، الأمر الذي أضفى عليها ميزة من التنوع في الإنتاج الزراعي، فضلاً عن انتشار الينابيع والجداول والآبار الارتوازية، وتعتبر الكرك من أهم المناطق الزراعية في المملكة، ويُعتبر النشاط الزراعي والإنتاج النباتي والحيواني من أهم الموارد الاقتصادية لسكان المحافظة، وتعتمد المزروعات في ريها على الأمطار المتفاوتة من موسم لآخر، كما يوجد بعض المساحات المروية خاصة في مناطق الأغوار الجنوبية (غور الصافي) التابع للمحافظة، والذي تتواجد

فيه مزارع النخيل والموز والحمضيات والبرتقال، ومساحات واسعة من الخضار بشتى أنواعها، والمشاتل والبيوت البلاستيكية العديدة، إن الحرارة العالية وتوافر قنوات الري وخصوبة الأتربة خلقت منها بيئة زراعية استثمارية ممتازة.

كما انتشرت في المحافظة في مناطق الشفا في قرى الكرك وسهولها، زراعة الحبوب والزيتون والتين والخضروات واللوزيات والأعشاب، وتتوفر في المحافظة مساحات من الأراضي الحرجية والمحميات الرعوية.

وفيما يتعلق بالثروة الحيوانية فإن محافظة الكرك تشتهر بتربية الحيوانات كالإبل والضأن والماعز والأبقار والحراف والخيول، فضلاً عن تربية النحل والدجاج البلدي ومزارع الدواجن اللاحم والبياض، وهي ثروة حيوانية تشكل في مجملها قيمة استثمارية وغذائية كبيرة، ترفد السوق المحلي بكميات وافرة من اللحوم والبيض ومشتقات الحليب المختلفة. كما يوجد العديد من المشاريع الزراعية المختلفة العاملة تحت إشراف مديريات الزراعة في المحافظة.

تتميز محافظة الكرك بنموها الاقتصادي والاستثماري، فنجد فيها العديد من الشركات الصناعية والاستثمارية الخاصة،

ومنشآت اقتصادية عديدة في قطاع التجارة وبيع المركبات وصيانتها والسلع الشخصية والمنزلية، فضلاً عن المنشآت في قطاع الصناعة والتعدين، ويوجد في المحافظة مدينة الحسين الصناعية وهي صرح صناعي أسس من أجل خدمة المجتمع المحلي واستقطاب أصحاب رؤوس الأموال، وفي المدينة العديد من المصانع لإنتاج الثلج والصودا ومستحضرات التجميل، ومختلف الصناعات الغذائية والمعدنية والكيمياوية، والتي أتاحت فرص عمل كثيرة لأبناء المجتمع المحلي، كما توجد في المحافظة في البحر الميت شركة البوتاس الأردنية لإنتاج مادة البوتاس لتلبية حاجات السوق منها، وفي منطقة اللجون تتوافر بعض الثروات الطبيعية في باطن الأرض ومنها مادة الصخر الزيتي كما أشارت بعض عمليات التنقيب، كما يوجد في المحافظة مصنع إسمنت القطرانة، ومعاصر للزيتون، والعديد من مطاحن القمح التقليدية...

الكرك من أقدم الحواضن الثقافية والفكرية في الأردن، وقد اختيرت عام 2009 لتكون مدينة الثقافة الأردنية لتشهد متواليات من الحراك الثقافي النشط في مختلف المجالات، ويُقام في المحافظة العديد من المهرجانات السنوية، كما تشهد المحافظة حراكاً ثقافياً وإبداعياً متواصلاً في الأدب والتشكيل والدراما والمسرح بفضل

روابطها ومراكزها الثقافية وهيئاتها الإبداعية المتشرة في كل مكان، إضافة الى المكتبات العامة فيها الزاخرة بكل أنواع الكتب، وتشرف مديرية ثقافة الكرك التابعة لوزارة الثقافة على معظم هذه الفعاليات. وما تزال المحافظة ترفد الوطن بالكثير من المبدعين في مختلف المجالات الذين لهم حضور في المشهد الثقافي الأردني، لتظل الكرك ذاكرة مكان وبوح من أغاريد الإبداع الأصيل.

وتتوشح المحافظة بوشاح تراثي بهي مرسوم من خيوط الكرامة والتمسك بالمبادئ والقيم المثلى، بالعادات والتقاليد الحميدة، تراث يعكس مختلف مكونات المجتمع الكركي، مسلميه ومسيحييه، وما يزال التراث البدوي يحافظ على هويته في الزي واللباس التقليدي، حيث يرتدي الرجال الثوب والشماغ وتعمر رؤوس النساء بالمنديل أو العصبة التراثية الجميلة.

وهي تقاليد وعادات متشابهة في أكثر مناطق المحافظة، ذات طقوس فلاحية تتجلى في أغاني الحصادين والبيادر وقطاف الزيتون والحنان شبابة الرعاة، وتنتشر البهجة في الأعراس التي تحتفظ بتفاصيلها البدوية الجميلة من تعاليل السامر المصحوبة بالدحية والهجينى والحوشي، وليلة حناء العروس المزدانة بالأغاني التراثية، والزفة المتشحة بجماليات الأغاريد والزغاريد، وتقديم

القهوة السادة والمنسف الذي يُصنع للمدعوين من الجميد الكركي الشهير.

وما تزال المحافظة ذات هوية تراثية عريقة في الطب الشعبي واستخدام الأعشاب والنباتات في المداواة، وممارسة العديد من الألعاب الشعبية التي تشكل حضوراً ومنافسة بين اللاعبين، وإعداد المأكولات الطيبة المذاق كالفتيرة أو المجللة المكونة من اللبن المر يس والسمن البلدي ومن الخبز الطابون أو العويص، فضلاً عن أكلة شعبية أخرى هي الرشوف أو المدقوقة التي تؤكل عادة في فصل الشتاء.

ولأن الشباب عماد الوطن وحماة فقد أتاحت لهم محافظة الكرك فرص الترويح عن النفس وصقل شخصياتهم الرياضية، ومن هنا تم تأسيس مديرية شباب الكرك التي تبنت برامج عديدة من خلال التعاون والتشارك والتشبيك مع مختلف المؤسسات الرسمية والمدنية؛ لعقد الندوات والمحاضرات وورش العمل للشباب في المحافظة. وانطلاقاً من الأهداف النبيلة في خدمة الشباب وتنمية مهاراتهم ومواهبهم فقد انتشرت في المحافظة العديد من المراكز الشبابية للذكور والإناث، والأندية الرياضية ومنها نادي ذات راس الذي حقق إنجازات ملموسة، كما نجد مجمع

سمو الأمير فيصل الرياضي في منطقة الثنية والذي يخدم الحركة الشبابية والرياضية من خلال توفيره للبنية التحتية من ملعب لمجمل طبيعي، ومضمار تدريبي وساحات، وإتاحة ممارسة مختلف الرياضات والهوايات عن طريق صالته المغلقة المتعددة الأغراض، التي تضم ملاعب لكرة القدم والطائرة والتنس، كما يوجد في المحافظة معسكر الحسين للشباب في منطقة المشيرفة، وبيت الشباب الذي يضم غرفا مجهزة بالخدمات الفندقية.

وتتميز المحافظة بشبكة من الطرق الرئيسة التي تربطها بالمحافظات الأخرى، وترتبط بالعاصمة عمان بطريقين رئيسيين هما الطريق الصحراوي والطريق السلطاني المتميز بمواقعه الأثرية والسياحية عبر وادي الموجب، فضلا عن الطرق الفرعية والزراعية المنتشرة داخلها التي تربط بين قراها وبلدتها المختلفة لتتيح للمواطنين سهولة التنقل والحركة.

ويظل الحنين إليها موصولا، وهي الجنوبية ومن غزلت رداء الوطن وأضاءت الشموع، (خشم العقاب) بعلو هامتها وتاريخها المجلل بالزغاريد، تظل بوابة النصر، مشرعة للضيفان والقهوة العربية، ولزهر يعاند الريح!!

## ( الفدين ) تكتب التاريخ

هنا الحكايات نبض من الماضي العتيق في هذه الصحراء المترامية الأطراف، والفدين ما تزال تهمس للعابرين بأنها الاسم القديم للمفرق، وتعني القصر المشيد. إنها المحافظة الموعلة في التاريخ وهي تشكل متحفا يضم بين جنباته تراكمات الحضارة الإنسانية ورحلتها في التطور والنماء عبر الزمن.

محافظة المفرق تاريخ يعيد كتابة ذكرياته بمداد النقوش الجميلة التي تمثل تاريخ الاستيطان البشري القديم، إذ كانت هذه النقوش لغة التواصل منذ ألفي عام، تاريخ سحيق توشوش به هذه الكهوف البركانية في منطقة دير الكهف، وهي تحوي هياكل الإنسان القديم والقطع الصوانية والفخارية التي تعود إلى العصر الحجري الحديث قبل الميلاد. المفرق المسكونة بالألق والندى والتسامي، ذات القلب الكبير الذي اتسع لكثير من العائلات الأردنية؛ للتعايش والتصاهر في بوتقة من التسامح والكرامة والعيش المشترك، إنه الرداء الحضاري المزركش بالتنوع والثراء، يكسوها، ليرسم على وجنتيها لوحة من فسيفساء المطارح

والتناغم الأصيل، وما يزال هذه القلب الوديع يحضن النازحين في  
نخيم الزعتري الباحثين عن ظل في حضنها الكبير.

وقد اكتسبت المفرق أهميتها الاستراتيجية لوقوعها على  
مفترق الطرق الدولية في الشمال الشرقي من المملكة، ومن هنا  
سميت بهذا الاسم، لتربط بين الأردن وسوريا والعراق  
والسعودية، الأمر الذي أهلها لتكون مركزا مرموقا لخدمات النقل  
الإقليمي البري.

ومع اكتشاف النفط في العراق الشقيق فقد ازدهرت المفرق  
على حافة انبوب خط النفط(التايلان) الممتد من حقول حديثة  
غرب بغداد الى ميناء حيفا الفلسطيني لتكون إحدى الخصائص  
الاستثمارية لهذه المحافظة العريقة، وهو الأمر الذي ساهم في تعبيد  
الطريق الدولي المار منها في وقت مبكر.

وتمر السنون لتكبر هذه المحافظة الجميلة فارشة ظلها على  
ربوع الوطن، امتداد رقيق الملامح فوق الصحراء الشرقية الشمالية  
للمملكة، لتغدو بوابة للعبور، ومكانا غنيا بموارده الطبيعية،  
بأحواضه المائية، بكنايسه واديرته القديمة، بأثاره المتنوعة من قصور  
وبرك رومانية وسدود عظيمة، بمخافرها العثمانية القديمة التي  
مازالت قائمة بين ربوعها، بكونها المحطة الأولى لعبور خط الحديد

الحجازي نحو الجنوب، وما تزال هذه المحطة شاهدة على ذلك الزمان بمبانيها الحجرية ذات النوافذ المستطيلة، على مرأى من الأسواق القريبة منها، وهي محاطة بالأشجار الباسقة، توشوش لنا إذ كانت معمورة بالضجيج، والقطار يمضي بصفيره نحو الجنوب، حاملا في جسده الحديدي حكاياته وأحلام المسافرين.

مدينة المفرق تتوشح بجمال الفجر وأصوات المآذن، ها هي تغفو في قلب المحافظة، وهي ذات مناخ صحراوي جاف صيفا قليل الأمطار شتاء، فيها مزيج عريق من العشائر الأردنية التي سكنتها منذ قديم، نجد هنا تنوعا عمرانيا ملفتا حيث نجد الأحياء العصرية ذات الفلل القرميدية والبيوت الحجرية الحديثة، ومن جانب آخر نجد الأحياء ذات المباني القديمة، والحارات الشعبية، والشوارع الضيقة بحركة المتسوقين والعابرين، حيث المقاهي والمتاجر والبسطات والراسمين لأحلام الغد الأجل، نجد أسواق الخضار والفواكه والمتاجر التراثية، إنها الخطى تقودنا نحو العبق القديم بالرغم من شمس أكثر سطوعا هنا، في سماء البداء...

وعلى ضفاف المدينة تطل علينا بيوت الشعر المتناثرة وهي تشكل منمنمات من تراث البادية الأصيل.

في قلب المدينة نمر في شارع الهاشمي، الذي كان يسمى قديما  
بشارع البدو، لأن أغلب رواده من أبناء البادية الشمالية، إنه يمتد  
شاهد عيان على تاريخ المدينة، إنه مخزن شعوري جمعي ينبض  
بالأصالة والمعاصرة، شريط إسفلتي يجنبى في جنباته ضجيج الحياة،  
من متاجر خياطة الأقمشة وبيوت الشعر، إلى محلات بيع الجميد  
والسمن البلدي ومتاجر التراثيات والتحف، وصولا إلى محلات  
المجوهرات الثمينة، إنه دفتر حكايات يسطر ذاكرة المدينة.

وتفضي بنا الأسواق إلى دوار الدبابة، إنه في هذه المدينة  
شاهد على الفداء والحرية، يدل على مكانة المحافظة تاريخيا  
وحاضرا وهي تقدم أرواح الشهداء لنصرة الحق والقضايا العربية،  
والذود عن حمى الوطن.

كما نجد هنا في المدينة، مسجدا عريقا، يطل علينا بهيبته  
ووقاره، إنه مسجد المفرق الكبير الذي يعتبر من أقدم المساجد في  
المملكة وثالثها من حيث الاتساع واستيعاب المصلين، حيث أسس  
في نهاية الأربعينيات من القرن الماضي، وما تزال جدرانها العتيقة  
تخزن التكبيرات الجميلة على مرأى من الأشجار المعمرة في  
ساحاته.

وفي حي الحسين، وهو من أقدم أحياء المدينة، نجد بقايا سد  
عثماني قديم، يدلل على دوره في تجميع المياه من أجل السقاية  
والري في تلك الحقبة من التاريخ.

ترتبط المفرق مع محافظات المملكة والدول العربية المجاورة  
بشبكة من الطرق الرئيسية التي تعتبر عنصرا مهما لحركة الأفراد  
والخدمات والمنتجات والترانزيت في كل الاتجاهات، ويوصل  
الطريق الدولي فيها إلى معبر الكرامة الحدودي مع القطر العراقي  
الشقيق. كما توجد في المحافظة شبكة من الطرق الفرعية والزراعية  
التي توصل بين بلداتها وقرائها المترامية الأطراف.

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى مدرسة رحاب الثانوية للبنات التي  
تعد من أقدم المدارس في المحافظة، وهي من المدارس الريادية التي  
تقوم بتدريس المنهاج الزراعي، حيث تقوم طالباتها بتصنيع  
منتجات غذائية، كالعسل وإنتاج الخضروات والفواكه وتربية  
الدواجن؛ وذلك لتأمين المجتمع المحلي بما يحتاجه وبأسعار رمزية.

وفي مجال التعليم العالي فقد أنشئت جامعة آل البيت في  
المحافظة، بطابع عمراني إسلامي، مؤهلة بقاعات التدريس المختلفة  
والمختبرات ومكتبة محوسبة ومظلات وشبكة موصلات داخل  
حرمها، وهي جامعة تتميز بمساقاتها الإلجبارية التي تغطي علوم

الشريعة الإسلامية، ومن جانب آخر فقد تبنت الجامعة في مسيرتها التعليمية رسالة عمان التي تدعو إلى احترام جميع أبناء المذاهب وعدم التفريق بينهم، وتم تأسيس مركز دراسات العالم الإسلامي فيها ليكون قاعدة معلومات شاملة عن أحوال العالم الإسلامي وقضاياها المعاصرة. كما تساهم الجامعة في تنمية المجتمع المحلي من خلال الاتصال المباشر مع الفعاليات الرسمية والشعبية في المحافظة.

وفي مجال الرعاية الصحية فإن المحافظة تقدم خدماتها الطبية والتمريضية في هذا المجال من خلال عدد من المستشفيات الحكومية والخاصة والعسكرية لتقديم خدمات علاجية متنوعة، هنا نجد أيضا العديد من المراكز الصحية الشاملة منتشرة في العديد من مناطقها، كما نجد العديد من العيادات القروية التي تقدم خدماتها لسكان البادية والأرياف التابعة لها.

ها هي المفرق، لوحات منقوشة على جدار الزمن، هنا للكلام نبض شعري، إنها الأمكنة حينما تبوح بأسرارها وأشواقها، بأطياف من أوقدوا شموعهم ومضوا، إنها الموغلة في المتن القصصي للحياة، الموشحة بالكثير من المواقع التاريخية التي تشكل أيقونات فيها القدسية والغموض والبهاء، تسرد مدونات

الزمن القديم، كل تفصيلة في هذه الأمكنة العبقريّة تشي بسحر الصحراء حينما لا تكف عن البوح، إنها آثار خالدة لا يمحوها النسيان، أسرت الرحالة والجغرافيين الذين مروا بها ذات ظهيرة، فكتبوا عنها، فقد حكى ياقوت الحموي في معجم البلدان عن تاريخها ذاكرة أنها القدين من أرض حوران، ومما قاله الرحالة (بكبريت) في طريق عودته من اسطنبول: ' ولما كان الصباح، رحلنا، وأتينا على واد قديم، يعرف بالمفرق، لأن الحجاج إذا رجعوا تفرقوا فيه، وهو مسيل كثير الزلق، وحوله قرى وضياع' كأنما مروا بطرق الملح، ذلك الذي كان يمر من قرى المفرق، وهو امتداد لطرق التجارة والحروب القديمة، طريق نبطي قديم تعبره العربات والجِمال القادمة من ملاحات الأزرق محملة بالملح والأمنيات.

وتفودنا الخطى على رمل من الدهشة، حيث لمجدها بكامل البهاء، إنها أم الجمال هذه البلدة بهضابها الوردية وبيوتها البسيطة المعمار بشوارعها القروية الجميلة، وشهامة أهلها الطيبين، إنها الموسحة بالتفاصيل الناطقة بحكمة الإنسان القديم، هنا في أقصى شمال الاردن، والصحراء تحضنها كأم رؤوم، تمشط شعرها كل صباح على مرأى من شمس دافئة هناك، إنها (الواحة السوداء) لما

ينتشر فيها من أعداد وفيرة من الأحجار البركانية السوداء. ويرجع تاريخ هذه المدينة العظيمة إلى العصرين النبطي والروماني البيزنطي، فكانت إحدى المستوطنات النبطية القديمة وقد بُنيت من الطوب البازليتي الأسود المدعم بقوالب مستطيلة منه، وازدهرت في القرن الأول قبل الميلاد، إذ كانت ملتقى للطرق التي ربطت الأردن و فلسطين بسورية والعراق، حيث إنها تقع على طول طريق تراجان الملوكي وتشكل محطة في منتصف الطريق منه. وهي من إحدى المدن العشرة في حلف الديكابولس ذلك الذي أُقيم في عهد اليونان والرومان، حيث كانت تعرف باسم (كانثا). وقبل أن يضربها زلزال مدمر كانت تعج بالحركة والازدهار إبان حكم الدولة الأموية.

في أم الجمال بقايا حصون تحتضن في دواخلها كنائس عديدة تختلف في أحجامها ومعمارها الهندسي، فضلا عن العديد من الأحواض المائية المسقوفة والمكشوفة، وبقايا لمعسكر روماني قديم ما يزال يثرثر حكاياته للعابرين.

أم الجمال منحوتة فاتنة في هذه البيداء، دالة على براعة الإنسان في تسخير عناصر الطبيعة له، بما تزخر به من أعداد كبيرة من الأحواض المائية، ولأنها بعيدة عن مصادر المياه، احتاج العقل

البشري أن يجر المياه إليها عبر قنوات تحت الأرض، لأن من الماء  
جُعل كل شيء حي.

وتظل هذه اللوحة الفسيفسائية في أم الجمال شاهدة على  
أسرار الكنوز الأردنية، وقد تلاصقت حجارته الملونة الصغيرة  
لترسم نهر الأردن الخالد وعلى ضفتيه المدن والقرى التي ورد  
ذكرها في المدونات المقدسة القديمة.

ومن أجل التنمية المستدامة في البادية الأردنية فقد تم إنشاء  
مركز بحوث وتطوير البادية الأردنية في محافظة المفرق، لتحقيق  
أهداف منها تحسين نوعية الحياة لسكان البادية دون المساس بنمط  
الحياة التقليدي لديهم، وإجراء بحوث ودراسات عديدة من أجل  
تطوير الموارد الطبيعية واستغلالها من أجل التنمية الاقتصادية  
والثقافية والسياحية، كما ينظم العديد من الدورات التدريبية في  
مجالات تنمية الأراضي الجافة وتطويرها، إضافة إلى الملتقيات  
العلمية والمؤتمرات حول البادية.

حتما يعرف القلب طريقه عندما يدلنا على هذا البهاء  
الجغرافي، هنا في رحاب، هذه البلدة الوادعة بين موارسها  
وكرومها، بطابعها القروي الخلاب ذي المسحة البدوية الأصيلة،  
والتي يعود تاريخها إلى العصر الحجري، فهي تشتهر بكثرة كنائسها

التي تربو على الثلاثين في مختلف أحيائها، إضافة إلى البرك وآبار جمع المياه والأبراج والكهوف، ويُعتقد أن تسميتها برحاب تعود إلى مسمى قديم لأميرة بيزنطية سكنت المنطقة، ويدل على ذلك بعض النقوش الموجودة في أحد معالمها الأثرية.

ومما يميز هذه البلدة وجود أقدم كنيسة في العالم في مرابعها، وذلك بحسب التواريخ والكتابات النقشية فيها، وهي كنيسة كهفية تعود للعام 70 الميلادي. ومن أشهر كنائس رحاب: كنيسة القديس باسليوس، وكنيسة القديسة صوفيا، وكنيسة القديس بطرس، وكتدرائية تلعة القرية.

وقد ورد اسم رحاب في لوائح أسماء المدن التي احتلها فرعون مصر تحوتمس الثالث قبل الميلاد.

ولا تكف الأمكنة الخالدة في المفرق عن سرد أسرارها، ففي الشمال من المفرق، ها هي سما السرحان تحديق بنا، لتهمس بمكنوناتها وعبقها، بيوتها ودورها المزهوة بالكبرياء، تاريخها العريق إذ كانت تسمى قديما بسما حوران نسبة إلى هذا السهل الحنائي الذي كان يعتبر سلة الغذاء لروما، إنها ههنا تربض في هذا السهل الممتد بخضرتة وتربته الحمراء، وسميت بهذا الاسم (سما) لأن سدود مياهها القديمة كانت مرايا تعكس السماء فيها، بقمرها

ونجومها، فهي معمورة بالكثير من بقايا السدود القديمة، فسميت أيام الكنعانيين بسما أشتوك، أي السدود، لكثرتها هنا.

سما السرحان نقش بديع على خاصرة محافظة المفرق، تدلل على أهميتها التاريخية هذه الأثار والنقوش العديدة، فهي شهدت حضارات متعاقبة رومانية ونبطية وبيزنطية وإسلامية، وفي موقع الكوم هنا يُعتقد أنه يجنبي في جوفه مرافق المدينة القديمة، يتكور عليها ليحميها من قسوة الزمان وتغيرات الطبيعة. وعلى مرأى من أسرار هذا المكان نجد مواقع مهمة، منها هذا الموقع الذي يسميه البعض بالمذبح، أو المثذنة، أو البرج، إضافة إلى هذه الأقواس الحجرية وبعض الغرف التي تحتزن ما كان من سواليف المدينة بين جدرانها المنسية.

ومن أشهر النقوش الأثرية في سما السرحان، هذا النقش العريق على أحد شواهد القبور الوثنية فيها، حيث تُرجم ب: ولقد فقدناك يا اسكندر بن جرمانوس 70 سنة وتظل هذه الكنائس والأديرة تدلل بلا ريب على روحانيات ما تزال لها رائحة التاريخ، تسلط ضوءا ناعسا على جوانب الحياة الدينية في تلك الحقبة من الزمان.

وللصفاوي (الاجفايف) حكاية أخرى، في الشمال الشرقي من محافظة المفرق، في هذه الصحراء الموغلة في رمزياتها الفاتحة بالهيل وخطى النوق وأجراس الرعاة وغرائيبات الأمكنة المدهشة، حيث نجد الأرض الحماد، والحررة الموغلة في السواد، الهضاب التي تراءى من بعيد كأسنمة البعران الرشيقة، هنا بوح صوفي خفي، حيث النشوة وسحر الطبيعة القاسية، المتمردة على قوانين الزمن، كل شيء هنا قابل للصمت، من أجل معراج روحي نحو الفضيلة والسكون البهي...

ومن بعيد، نلمحها، إنها كومة خضراء ناسكة في هذا الصمت الجليل، كأنما تتعبد في محرابها وحيدة، في هذا المدى، لا تحتمل ضجيج المدائن، تهمس لنا: أنا شجرة البقيعاوية، شجرة الحياة. وهي من فصيلة أشجار البطم الأطلسي، تفرز أصماغا لها رائحة طيبة كأشجار المستكة، ذات أزهار عنقودية كثيرة التفرع وثمارها حسلية بقدر حبة البازلاء. إنها شجرة مقدسة، لها مكانة كبيرة في وجدان المسلمين، فهناك دلائل على أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم استظل تحتها أثناء رحلته التجارية إلى أطراف بلاد الشام، فقد ورد في سيرة ابن هشام: "ولما استظل تحت الشجرة تهصرت أخصان الشجرة عليه"

ونوغل راحلين في مفازات الصفاوي لتقودنا الخطى إلى (جاوا) التي لا تشعب العين من فتتها وسكونها، من تاريخها الذي يعود إلى العصر البرونزي المبكر، وقد شهدت على مدار حقب التاريخ ازدهارا واستيطاناً مكثفاً، وقد بُني فيها أول نظام مائي حقيقي في العالم، وهو سد عظيم بني وفق تكنولوجيا متطورة، ومن طبقتين من الحجارة على ارتفاع خمسة أمتار؛ ولتلافي الضغط الراجع للمياه فقد استخدمت تقنيات وطرق بناء هندسية غاية في الذكاء، إضافة إلى استخدام الحواجز الترابية لتشكيل دعائم تحافظ على السد من الانهيار .

وهو من أقدم السدود المعروفة في العالم حيث يعود تاريخه إلى ما قبل الميلاد، وتفيد نتائج الحفريات في هذه المنطقة على أنه بُني في الأصل لغايات الحصاد المائي (تجميع مياه الأمطار). كما نعثر هنا على شبكة من القنوات وخزانات المياه الضخمة.

ها هو وادي راجل يجلله الغموض، هنا في جاوا، أخذود من التضاريس الغربية التي تثير فينا الأسئلة، وقد وقف على جنباته ذات مساء النابغة الذبياني، فأنشد متغنياً به وبمشارف حوران:

- 'يؤم بريعي كأن زهاه إذا هبط الصحراء حرة راجل'

إنه واد ساحر، حيث حرته المبقعة بالحجارة البركانية الداكنة، تنتشر هنا لتسرد مدونات عن عشق البدوي للصحراء، وقد سمي بهذا الاسم لأنه يترجل من ارتفاع 500 متر وينف فوق سطح البحر، وبالرغم من هذه الأحجار البازلتية السوداء الموحشة يظل هذا الوادي مائلا في الذاكرة، على مرأى من شجيرات الزعرور التي تحرس المكان.

أما قصر برقع الأثري الواقع في البادية الشمالية الشرقية من المفرق، في منطقة الرويشد(الاجفور) فهو نقش إسلامي خالد في أعماق هذه الحرة المتسعة، المحاطة بالكثير من الغدران والأودية، إنه قلعة تقع على غدير برقع في الجهة الشرقية من الحرة البازلتية على حافة الحماد بالقرب من بركة رومانية كبيرة، وهو ذو شكل شبه مستطيل تحيط به مجموعة من الغرف الصغيرة مع وجود ثلاثة أبراج، وفي الساحة السماوية منه توجد ثلاث غرف صغيرة إلى الجنوب منها خزان مياه متصل بقناة لجر المياه من السد العملاق القريب منه .

وقد استُخدم هذا القصر الجميل في العصر الأموي لغايات الصيد، باستخدام الصقور التي يوضع على عينيها برقع من الجلد قبل انطلاقها إلى فرائسها؛ ومن هنا جاءت تسميته.

محافظة المفرق وبالرغم من طابعها الجغرافي الصحراوي الجاف إلا أنها منطقة زراعية بامتياز، إذ تُعتبر سلة الغذاء الثانية للأردن، وذلك بفضل تواجد العديد من الآبار الارتوازية فيها، والأحواض المائية العميقة، لذا فإن المحافظة واحدة من أهم مراكز الإنتاج الزراعي في المملكة حيث يوجد فيها ما نسبته 20 % من الأراضي الكلية القابلة للزراعة، وتغطي الزراعة المروية فيها الجزء الأكبر من احتياجات المملكة من الخضار الصيفية والفاكهة بمختلف أنواعها.

وهي تشهد زراعة متقدمة على أحدث الوسائل العلمية والتكنولوجية، هنا في سهول بلدة (صبحا وصبحية ) في البادية الشمالية للمفرق، حيث تبهرنا مئات الدوغمات المزروعة بمختلف أنواع الفواكه من المشمش والدراق ومن الحمضيات وسلالات الأعناب المحسنة فضلاً عن حقول القمح الممتدة ومزارع البطيخ، وتُصدّر هذه المنتجات الزراعية الممتازة إلى كثير من الأسواق في مختلف أقطار العالم.

من جانب آخر فإن هذه المشاريع الزراعية تُعتبر الرائدة في المنطقة من حيث الجودة في إنتاج هذه المحاصيل، والاستثمار الأمثل

للمياه الجوفية، وإيجاد فرص العمل لأبناء المجتمع المحلي في المنطقة لزيادة دخولهم الأسرية.

كما تنتشر في المحافظة زراعة الزيتون والبندورة البلدية ذات الطعم الشهي، وتنتشر البيوت البلاستيكية التي يُزرع فيها مختلف أصناف الخضروات والنباتات الموسمية.

وتشتهر المحافظة بتربية العديد من الحيوانات الداجنة في حضائر معدة لهذا الغاية، كالضأن والماعز والأبقار والإبل، ونجد قطعانا منها سائمة في الصحراء الممتدة تبحت عن الكلاً والشجيرات الصحراوية. كما تشتهر المحافظة بتواجد العديد من مزارع الدواجن فيها، وهي ثروة حيوانية تشكل في مجملها قيمة استثمارية وغذائية كبيرة ترفد السوق المحلي بكميات وافرة من اللحوم الحمراء والبيضاء، ومنتجات الألبان ومشتقات الحليب المختلفة.

وقد خطت محافظة المفرق في الجانب الاستثماري الصناعي والتجاري خطوات ملموسة يدلل على هذا وجود منطقة الملك حسين بن طلال التنموية فيها، على شبكة من الطرق السريعة والحديثة التي تربط الأردن بسوريا والعراق والسعودية، وقد تم اختيار موقعها بشكل استراتيجي لتعمل كمركز صناعي وميناء

وطني يمتد عبر 21 كيلو متر مربع، مع مطار وظيفي قريب ونظام سكة حديد مستقبلي، ومع أسواق إقليمية تفتح الأبواب للاستثمار التجاري والصناعي الأمثل.

كما يوجد في المحافظة منطقة صناعية، ويوجد العديد من المنشآت والمصانع المتخصصة بصنع الكيبلات وإنتاج الاسمنت، وصناعة الإسفنج والحديد، والعديد من الصناعات الغذائية ومنها صناعة الألبان لتغطية احتياجات المنطقة. كما تنتشر هنا المقالع والحاجر التي تقوم بتزويد المملكة بأنواع من الرخاميات والجرانيت والحجارة المستخدمة في بناء المنازل. وتعتبر كذلك المصدر الرئيس للغاز الطبيعي الذي تم استغلاله لغايات توليد الطاقة الكهربائية حيث تم اكتشاف هذا الغاز مؤخرا في منطقة الاثنى القريبة من حدود الكرامة.

المفرق ذاكرة مكان بما تحتزنه صحراؤها المترامية الأطراف من شعرية ورمزية واتصال مباشر بالفضاءات العليا، وهي طبيعة أقرب إلى التصوف المعرفي؛ مما حدا بها لأن تكون من المحافظات الرائدة في الحراك الثقافي والإبداعي، عاش فيها الكثير من المبدعين الكبار والذين كان لهم إسهامات غنية في المشهد الثقافي الأردني والعربي، نذكر منهم على سبيل المثال الشاعر العالمي يحيى

النعيمات الذي يُكنى بأحمد ناصر، والمقيم حالياً في لندن، وقد ساهمت محافظة الفرق التي ولد فيها في صقل ذائقته الإبداعية الرهيفة التي أوصلته للعالمية، ومن مثقفي المحافظة المفكر والباحث الكبير المرحوم فايز محمود وهو الذي رقد المكتبة العربية بالكثير من المنجزات الفلسفية والفكرية والأدبية الراقية.

وما زالت المحافظة تشهد في هذا الجانب متواليات إبداعية وأمسيات أدبية وفكرية مختلفة، بمجهود العديد من الهيئات والروابط الثقافية فيها والتي تشرف عليها مديرية ثقافة الفرق التابعة لوزارة الثقافة.

وما تزال المحافظة تشهد حراكها الثقافي في مختلف حقول الإبداع في الآداب والفنون الأدائية والتشكيلية، وفي الشعر النبطي الذي يعتبر علامة إبداعية تميز الفرق عن غيرها، وقد شارك العديد من شعرائها في مسابقة شاعر المليون وحققوا إنجازات متقدمة.

ومن جانب آخر فقد تم إنشاء جمعية الملكة زين الشرف لتنفيذ العديد من المشاريع التنموية اجتماعياً وثقافياً مما أدى إلى توفير العديد من فرص العمل لمساعدة المرأة في محافظة الفرق للانخراط في العمل، وتحسين مستوى دخول أسرها، وتُمثل هذه المشروعات

بالحرف والأشغال اليدوية وصنع المأكولات الشعبية والقطر،  
والغزل بالنول والتجميل وتصنيع القش، وقد شاركت الجمعية في  
العديد من المعارض التي أقيمت في المحافظة.

ويقام سنوياً في المحافظة العديد من المهرجانات الأدبية  
والتراثية الفاعلة التي تشهد حضوراً كبيراً من عشاق الإبداع والفن  
الأصيل، من مثل مهرجان الخالدية للشعر الشعبي والنبطي،  
ومهرجان ليالي البادية الشمالية، ومهرجان الفدين التراثي،  
وتشارك في هذه المهرجانات العديد من الفرق التراثية التي تقدم  
لوحات استعراضية بدوية من السامر والدحية للدلالة على كنوز  
هذه المحافظة في مجال التراث الأردني الأصيل.

وتتشح محافظة المفرق بوشاح بدوي جميل يرسم خيوطه  
وألوانه الزاهية في مجال العادات والتقاليد والطقوس والأعراس،  
وفي الزي البدوي والقروي الجميل، وفي الأكلات البدوية  
والشعبية التي تُقدم في المآدب العامة والخاصة؛ لمذاقها الفريد  
ولأنها تمثل التمسك بالجذور والأصالة.

ولأن الشباب عماد الوطن وحماته فقد انتشرت في المحافظة  
العديد من المراكز الشبابية والرياضية للاهتمام بمواهب الشباب

وتنميتها ليكونوا أبطالا في كل الميادين، مزودين بالمعرفة والرشاقة  
والجمال .

هذه هي المفرق، الفدين، ابنة الصحراء ذات الجداول المذهبة  
بالشمس وأسرار الأماكن القصية، التي ماتزال على مفترق الطرق  
الدولية، شاهدة على تاريخ عميق غائر في الماضي البعيد، وعلى  
حاضر جميل لهذا الوطن الجميل.

## منجمُ العالم القديم

ويقودنا هذا الطريق الجبلي المشجر إلى مدينة الألف عمود، إنها جرش درة الأردن وأيقونتها الخالدة، وهي تقع في قلب المحافظة الممتدة بجبالها المخضرة وقيعانها وأوديتها الساحرة، إنها الريانة بمقومات الحياة والعميقة بتاريخها الضارب في متون الزمان. إنها جراسا، تحفة أثرية عالمية، توشوش للزائرين أن الحياة البشرية فيها تعود إلى أكثر من ستة آلاف عام، وأنها أسست في عهد الإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد، وأن السلوقيين أسموها ب( أنطاكيا الواقعة على نهر الذهب).

إنه تاريخ عميق ما تزال المدينة بطابعها الغربي والشرقي تحكي أقاصيصه كل لحظة، (جراسا) كانت واحدة من مدن الديكابوليس العشر، في ذلك الاتحاد الروماني القديم، وذلك لما تمتعت به من طبيعة خلابة وموقع استراتيجي على ملتقى طرق القوافل، لتتحول فيما بعد إلى أهم مركز تجاري وثقافي مزدهر إبان الامبراطورية الرومانية.

محافظة جرش ذات الطابع الريفي الزراعي، ها هي تمتد فارشة ظلها الجميلة على الربوع الشمالية للوطن، على ضفاف

الطريق الرئيس بين العاصمة عمان ومحافظة إربد السماء وعجلون، وقد شهدت هذه المحافظة توسعاً عمرانياً وازدياداً سكانياً منذ منتصف القرن العشرين، لما شهدته من هجرات بشرية مختلفة، الأمر الذي أضفى عليها رداءً مزرکشاً بالتنوع والثراء، إنها فسيفساء مكان، خيوطه من مختلف العشائر والعائلات ومن الشركس والشيشان والأرمن والشوام، خليط رائع التكوين، يرسم على جبين المحافظة لوحة التناغم بروح المواطنة الصادقة، بين مختلف المكونات السكانية، بين مسلميها ومسيحييها، وسكان الحضر والقرى والمخيمات، يتمازجون معاً في أروع نسيج من المحبة والتعاون والتعايش المشترك.

مدينة جرش تقع في قلب المحافظة، تمتد على ضفاف الوادي الجميل، ذات مناخ البحر الأبيض المتوسط، وهو بارد إلى معتدل شتاءً حار صيفاً، حيث يعتبر من أكثر المناخات في الأردن اعتدالاً، وتميز المدينة بكثافتها السكانية والتنوع العمراني المدهش حيث البيوت القديمة والمنازل التراثية الشركسية، إلى جانب الأحياء العصرية، والفلل القرميدية والعمارات الحجرية ذات الطوابق العديدة، كما نجد الأحياء ذات الأزقة والحارات الشعبية.

وفي مدينة جرش يمتد شارع الملك عبد الله، هذا الشارع الحيوي المزدحم، إنه الضاحج بمجرمة المتسوقين والعابرين، المزدحم بالمُتاجر والمقاهي والمطاعم والبسطات، وهو يخترق المدينة وقد قامت على جانبيه الدوائر الرسمية والحكومية، ومجد أسواق الخضار والفواكه ومتاجر بيع التحف والهدايا للسياح، وحوانيت بيع التراثيات بجمالها الأخاذ، إنه تناغم بشري مع روح المكان لإضفاء مزيد من البهجة على ألوان الحياة وتفصيلها.

ولأن المدينة تحفل بكل مقومات الصناعات التقليدية والحرفية، بسبب الحركة السياحية النشطة فيها، حيث يؤمها السياح والرحالة وطلاب المعرفة من شتى أقطار الدنيا، فقد تم تأسيس سوق شعبي للحرف اليدوية قبالة المدخل الجنوبي للمدينة الأثرية، وهو سوق يستهوي الزائرين والسياح بما يحتويه من مختلف المنتجات الإبداعية من المنحوتات واللوحات والمطرزات والهدايا، والتحف والتراثيات والمشغولات اليدوية التي تظهر الدقة والمهارة الفائقة في التشكيل، وتعكس المزاج البهبي لفناني هذه المحافظة وهم يستلهمون روح المكان العتيق في أعمال إبداعية من الفن الجميل.

وأثناء تجوالك في مدينة جرش فحتماً ستسمع أيها الزائر الباحث عن الأصالة والجمال تكبيرات من المسجد الحميدي، إنه

المسجد الشهير في مدينة جرش، والذي سمي بهذا الاسم نسبة إلى بانيه السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وتمت توسعة هذا المسجد الرائع في مطلع الثمانينيات لتظهر هذه المئذنة الدائرية الحجرية شاهدة على التفاصيل العمرانية المدهشة.

وتشرف المحافظة على سد الملك طلال، هذا السد الذي يشكل لوحة مائية مدهشة بين المنحدرات، وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى المغفور له الملك طلال بن عبدالله وذلك تخليدا له، ولإنجازاته الكبيرة، إنه سد يمثل شريان الحياة للزراعة الغورية، وهو من أكبر السدود في الأردن، من النوع الركامي الصخري، يساهم في رفع تخزين كميات المياه في المملكة لاستخدامها في الري وتوليد الكهرباء، إنه مجمع مائي رائع، يغفو هنا، على راحة الليمون وأزهار البرتقال.

وإلى الجنوب الشرقي من مدينة جرش على قمة ربوة عالية يطالعنا معلم ديني بارز، إنه مقام النبي هود عليه السلام، يؤمه الزوار من مختلف أنحاء المملكة، لغايات التبرك والصلاة في هذا المسجد الجميل المقام هنا، ويدل هذا المقام الفريد على أن الأردن مهد لكثير من الأديان، زاخر بالحضارات القديمة.

في مدينة جرش، وعلى جزء كبير منها يتساءل العقل البشري كثيراً عندما يفكر في عظمة كنوز هذه المدينة الأثرية، في أسرارها وخلودها على مدار التاريخ، وهو الموقع العبقري الذي يعطي مثالا رائعاً للتطور المدني عند الرومان في الشرق الأوسط القديم، ليغدو واحداً من أفضل المدن الرومانية الباقية والمحافظة عليها في العالم.

إنها مدينة أثرية متكاملة بشوارعها المعبدة والمعمدة، بمعابدها المشرفة على رؤوس التلال، وهي تبوح بما كان من تراتيل وشموع وصلوات خافتة، بمسارحها الأنيقة وميادينها وقصورها، بحماماتها ونوافيرها وأسوارها التي تفضي إلى الأبراج والبوابات. إنه مزيج حضاري عريق يجمع بين الطابع الشرقي والغربي في آن، إنه هندسة معمارية عظيمة تعكس اندماجاً وتعايشاً ثقافياً بين حضارات عديدة في منطقة حوض البحر المتوسط، بين العالم اليوناني والروماني القديم والتقاليد القديمة للشرق العربي، تظهر معالم تلك الحضارات بالمدرجات والساحات والحجارة المزخرفة بالنقوش والرسومات والهياكل والمعابد. ومن أجل أيقونات هذه المدينة نجد بوابة هادريان ( قوس النصر)، وهي مدخل ضخم يقع في بداية الجهة الجنوبية من المدينة الأثرية، تهدمت منه أجزاء كبيرة

بسبب الحروب آنذاك، وقد أقيمت هذه البوابة احتفاءً بزيارة الإمبراطور الروماني هادريان إلى المدينة في سالف الأزمان.

وكم يشعر المرء بالزهو وهو يتجول في ساحة الندوة، هذه الساحة البيضاوية الشكل، المكونة من أرضية مرصوفة بالحجارة وتسمى (الفورم) تحيط بها أعمدة كثيرة على شكل يفوق النصف دائري بقليل، وترتفع الأعمدة على المساحة المخصصة بتنسيق جميل للغاية، وتزينها تيجانٌ مزخرفة ونقوشاتٌ ورسومات تسحر الأبواب، وكانت تستخدم لإقامة الاحتفالات والندوات وما تزال تقوم بهذا الدور خلال فعاليات مهرجان جرش للثقافة والفنون، إذ تشهد ازدحاما بشريا منوعا وجميلا تزينه كرنفالات من الفرع.

ومن هذه الساحة الجميلة يمتد شارع الأعمدة بالاتجاه الشمالي للمدينة، ويبلغ طوله حوالي 800 م ، أرضه مرصوفة بالحجارة الصلدة وتحيط به أعمدة شاهقة تزين بالنقوش والتيجان الكورنثية تضيف عليه مزيدا من الهيبة والجلال، إنه من أجمل الشوارع التاريخية في العالم، يعبره المتفرجون بقلوب نابضة بالعشق لهذه التحفة الهندسية، وما يزال يحتزن في حجارتها همسات من مروا به على مدار التاريخ.

ومن التحف الباهرة هنا، مدرجان غاية في الاتقان والجمال، الأول منهما في جنوب المدينة الأثرية والثاني يقع في أقصى شمالها، وقد تم إنشاؤهما لغايات إقامة الاحتفالات الشعبية والدينية وعقد الندوات والاجتماعات الكبيرة، ويشهد المدرجان كل عام احتفالات فنية لافتة، ذات حضور شعبي كبير، يغني على مسرحيهما كبار نجوم الطرب في العالم العربي، ضمن فعاليات مهرجان المدينة السنوي.

سبيل الحوريات ما يزال شاهدا على تعاقب الحضارات، وقد تم إنشاؤه في أواخر القرن الثاني الميلادي ، يتكون هذا المعلم الأثري الجميل من حوض رخامي فخم من طابقين كل منهما على شكل نصف دائري، وقد تم تصميمه بحيث تصل المياه إلى نوافيره من بركتين تقعان شمال المدينة بواسطة أقنية خاصة، والاسم يدل على أولئك الفتيات الروميات الجميلات إذ كن يردن العين، كأنما همساتهن ما برحت جدران هذا المكان. ولأن المدينة القديمة كان لها حضورها الطقسي الديني فقد أنشئ فيها معبد آرتميس وهو من أفخر المعالم هنا، إضافة إلى معبد زيوس وقاعة للبرلمان ومقبرة وحلبة سباق خيول وأقنية ري وحمامات فاخرة.

ميدان سباق الخيل رائع هنا، وهو يمتد من بوابة هادريان باتجاه ساحة الندوة، تنتشر على أحد جانبيه أقبية كانت تستخدم للخيل، وهو يتسع إلى مئات من المتفرجين. شهدت مدينة جرش في الفترة الرومانية بناء عدد من الكنائس، أول كنيسة بُنيت فيها هي الكنيسة الكاتدرائية ذات البوابة الحجرية الضخمة الغنية بصور منحوتة غاية في القداسة والجمال، وآخر كنيسة تم تشييدها هي كنيسة المطران "جانسيوس"، ثم بنيت كنائس أخرى مثل كنيسة الأنبياء والرسل وكنيسة القديس (ماديانوس) التي تقع إلى جوار بوابة هادريان، إضافة إلى العديد من الكنائس الأخرى، وهي تتميز بالطراز المعماري الجميل المستخدم عند المسيحيين الأوائل. ومن أجل استلهام رموز المكان وروح الإنسان القديم الذي عاش هنا، لكي ينبعث ضجيجهم من رقاده الطويل، فقد أخذت شركة إحياء تراث جرش على عاتقها تصميم وتقديم مجموعة من العروض التاريخية للجيش الروماني القديم بمباريزيه وعربات الخيول، عروض تقدم لرواد هذا المكان، لتحقيق الفرجة والمتعة من خلال التحديق بكوكبة من الجنود القدامى بزيتهم الغريب وهم بكامل عتادهم العسكري، يمشون بين الأعمدة وفوق الحجارة

المبلطة بانتظام، في مشهد بانورامي جميل ومدهش ومعبر عن جانب من الحياة العسكرية آنذاك.

وتأخذنا الخطى صوب جمال الطبيعة البكر، حيث الراوبي المتشبية بالأزهار البرية، والجداول وينابيع المياه العذبة، هنا في محافظة جرش جمال فطري أصيل، وشوشات لأمننا الطبيعة، كأنما هي قصائد شعرية تشي بالعدوبة والسحر والجمال الخالد.

في بلدة سوف هنا، كل التفاصيل المكانية تفيض بمحايات الشجر، حيث الأحراش الجميلة والكروم الريانة بالثمار الشهية، وتشير الكتابات القديمة إلى أن (سوف) كلمة لاتينية تعني النهر أو بلدة الينابيع، حيث يمكن لنا هنا من رصد أكثر من أربعين عين ماء، إنها بلدة المياه الجارية والبساتين الخلابة لتغدو من أجمل المصايف في الأردن، طلباً للراحة والمدهوء المطلق في هذا المكان الشجري الخلاب. سوف ها هي تمتد ببيوتها الريفية الجميلة على منحدر الجبل، في جنب الوادي الغربي الذي يدعى الدير، والتي تتميز بمرتفعاتها العالية وغاباتها الحرجية المشرفة على كثير من المواقع، ويمكن لنا هنا في (خربة سوف) أن نعثر على أرضيات فسيفسائية تاريخية، وأبنية تهدمت أجزاء منها والعديد من الكهوف التي تعود إلى عصور قديمة. وقد زارها الرحالة المستشرق

(بكنجهام) قبل مئتي عام ليكتشف عن جمالها في كتابه (رحلات في الأردن وفلسطين) قائلا: ' سوف بلدة مهمة في الزمن القديم، ويزرع الأهلون أراضيهم بحبوب القمح، كما تكثر أشجار الزيتون والكرمة فيها.

إن مسجد ( سوف) العريق وهو مسجد قديم بُني في عهد الدولة العثمانية إلى جانب مدرستها الثانوية للذكور هذه المدرسة التي تعتبر من أقدم المدارس في المحافظة، يظلان من الشواهد على عراقية محافظة جرش، وعلى تميز إنسانها على مدار الأيام.

منتزه ديين القومي هنا هبة السماء للأرض، هذا المنتزه الطبيعي الخلاب وهو يبدو للناظرين في أحضان غابات كثيفة من الأشجار، إنه من أكثر المناطق جذبا للسياح والمنتزهين، رواد هذا المكان من مختلف البقاع، وهم من عشاق الطبيعة العذراء، إنهم الهاربون من ضجيج المدينة وسطوة الأرقام وحسابات الحياة، هنا فرصة للتأمل والترويح عن النفس، حيث تغاريد العصافير لغة المكان، والحفيف الشجري موسيقى ريفية ناعمة، إنها تفاصيل مكانية ناطقة، بما توفره للمصطافين من درجات حرارة معتدلة وخدمات وبنى تحتية.

ولا بد لك أيها الزائر الحائر في هذه اللوحة الشجرية الرائعة من التوقف رويدا في محمية ديين، وهي هنا من إحدى المحميات الطبيعية في الأردن، غابة مدهشة من جماليات الشجر الكثيف حيث غابات الصنوبر والبلوط تتوزع فوق منحدرات من الصخور الجيرية. إن التراكيب الفيزائية والعمرية لأشجار الغابة هنا تعد من أكثر التراكيب تنوعا وفراة، حيث الأشجار هنا بأعمار وأحجام مختلفة، يعزز هذا التنوع وجود الأودية الرطبة التي تحسن من جودة التربة في الغابة، حيث نجد في المنطقة المنخفضة منها أشجارا كثيفة من الصنوبر الحلبي، وفي المستوى العلوي تكثر أشجار البلوط دائمة الخضرة، كما تنتشر أنواع أخرى من الأشجار مثل السنديان المعمر وشجر الفستق الحلبي والزيتون البري، وتتميز أرضية الغابة هنا بوجود أنواع من نباتات الأوركيد الفاتنة.

وفي المحمية نجد بعض الحيوانات البرية إضافة إلى قطعان من الغزال الاسترالي وأنواع من الأيل الأسمر الجميل، استطاعت هذه الحيوانات الرقيقة اللافتة بانسياب جسمها الرائع ورقتها، أن تتعايش مع مكونات الطبيعة وتناقل مع البيئة الجرشية في هذه الغابة.

في محافظة جرش لا تكف الأمكنة عن البوح، إنها منمنمات من فيض الغيم حينما ينساب قطرات فوق الهضاب والوهاد، مشكلا خضرة يانعة لا تكف العين عن التحديق في مفاتها، هنا في (برما) هذه البلدة الوداعة في محافظة جرش، بمساكنها القروية الجميلة، واطالاتها الغربية على الأغوار الوسطى، وأصل تسميتها من (بر وماء) لكثرة ينابيع المياه المتدفقة في قيعانها، وهي ذات تضاريس متنوعة فيها السهول المنبسطة والجبال العالية المكسوة بالغابات الحرجية الكثيفة من أشجار الصنوبر والأرز والسنديان والخروب، وربما هي من أكثر مناطق المحافظة إنتاجا لزيت الزيتون لكثرة أشجاره هنا بسبب مناخها المعتدل صيفا والبارد شتاء.

أما (ريمون) فهي قصة مكان وإنسان على مدار التاريخ، هنا في محافظة جرش، ببساتينها وكرومها من التين والزيتون واللوزيات، وتقول بعض الروايات إنه كان يطلق عليها اسم (دير الليمون) لكثرة أشجار الليمون فيها، ويقال إنها سميت بهذا الاسم نسبة إلى راهب يُدعى (ريمون) سكن المنطقة في الزمن القديم.

في ريمون نجد هذه التحفة البنائية الرائعة إنه مسجد ريمون القديم الذي يعود في بنائه إلى العصر الأيوبي، وقد طرأت عليه

زيادات في العصر المملوكي، وقد جرت له أعمال الترميم والتحديث وبخاصة لمنارته القديمة المبنية في عهد الملك الظاهر بيبرس كما يستدل على ذلك من خلال النقوش الموجودة.

ولسبل الزرقاء همساته هنا، وهو يمر من محافظة جرش، في طريقه إلى نهر الأردن، بمائه المتدفق على مهل بين أكمات أشجار الحور الباسقة، لكم تحمل هذا الأفعوان المائي مشقة مساره الطويل، إذ ينبع من عمان مارا بالزرقاء وصولا إلى هذا الوادي عبر هذه الرحلة في ربوع الوطن، رحلة عشقه للمكان الأردني، ويظل يثر وصاياه على الضفاف هامسا لنا: كنت نهرا عظيما تعيش على ضفافي التماسيح في غابر الأيام.

محافظة جرش ذات طابع جيولوجي متداخل، حيث الأرياف المزدانة بالروابي الخضراء، بجبالها ومرتفعاتها العالية وسهولها الممتدة ذات الخضرة اليانعة، ومنحدراتها وأوديتها، فضلا عن غاباتها الحرجية الكثيفة ومراعيها وحقولها، وهو الأمر الذي خلق تنوعا في ثروتها النباتية والحيوانية، وجعل منها منطقة زراعية متنوعة الإنتاج.

تنتشر في المحافظة زراعة المحاصيل الحقلية ومساحات كبيرة من الغطاء النباتي المتمثل في الأشجار المثمرة من التين والزيتون

واللوزيات والأعناب والرمان وأصناف من الفواكه الأخرى، وهي على جودة إنتاجية عالية. ولعل المحافظة تتميز بزراعة أشجار الزيتون المنتشرة بكثرة في مناطقها وأراضيها ذات الخصوبة والبيئة المناسبة لهذه الشجرة المباركة، وتزيد أشجار الزيتون المزروعة في المحافظة عن المليون شجرة، وهي زراعة تشكل مصدراً اقتصادياً ودخلاً هاماً لأهالي المنطقة.

وتعتمد بعض المزارع البعلية في ربيها على الأمطار الغزيرة في فصل الشتاء، ومن جانب آخر هناك العديد من المزارع التي تعتمد على السقاية من الينابيع والجداول المنتشرة في المحافظة ومن سبل الزرقاء المار منها، فنتشر زراعة الخضراوات الورقية بأنواعها المختلفة هنا وهناك، فضلاً عن المشاتل والبيوت البلاستيكية المزروعة بمختلف النباتات الموسمية والأزهار والورود . ويمكن القول هنا إن الزراعة في المحافظة تغطي احتياجات السوق المحلي والأسواق الأخرى المجاورة.

كما تشتهر المحافظة بتربية العديد من الحيوانات الداجنة المنزلية في حضائر معدة لهذه الغاية، كالضأن والماعز والأبقار والخيول والخراف البلدية، نجد قطعاناً منها تنتشر في سفوح التلال وفي المنحدرات، فضلاً عن تربية النحل والأرانب والدواجن،

وهي ثروة حيوانية تشكل في مجملها قيمة استثمارية وغذائية كبيرة، ترفد السوق المحلي بكميات وافرة من اللحوم والبيض ومشتقات الحليب المختلفة.

تتميز محافظة جرش بنموها الاقتصادي والاستثماري، فنجد فيها العديد من الشركات الصناعية والاستثمارية، ومنشآت اقتصادية عديدة في قطاع التجارة وبيع المركبات وصيانتها والسلع الشخصية والمنزلية، فضلاً عن المنشآت في قطاع الصناعة والتعدين، كما تنتشر في المحافظة معاصر الزيتون لأنها من المحافظات الأردنية التي تشتهر بإنتاج وتسويق مادة زيت الزيتون البلدي الطيب المذاق.

ولعل أبرز ما يميز محافظة جرش في هذا الجانب هو شهرتها في الصناعات الغذائية ومنها إنتاج الألبان ومشتقاتها حتى غدت اللبنة الجرشية علامة تجارية واسم يردده الناس، لما تتمتع به هذه المتوجات المختلفة الأصناف والأشكال والأنواع من جودة عالية ومذاق فريد، ويوجد في المحافظة العديد من المصانع الصغيرة المنزلية التي تنتج هذه المادة الغذائية المهمة وتطرحها في الأسواق مبسترة ومعلبة.

وفي المحافظة العديد من مطاحن القمح التقليدية التي تلبى احتياجات المواطنين من مادة الطحين، وتنتشر فيها الكثير من المقالع والحاجر التي تؤمن أحجار البناء بمختلف الأشكال والأنواع فضلاً عن مصانع الحبوب والأعلاف والأسمدة.

كما تشتهر مدينة جرش بالصناعات الحرفية والتقليدية من أجل استثمار سياحي يعود بالنفع على المواطنين من خلال تسويق هذه المنتجات في البازارات والمعارض، ومن هنا يوجد في المدينة العديد من جمعيات الحرف اليدوية النشطة.

جرش ذاكرة مكان، وبوح خفي تحرس آثارها وأعمدتها الأثرية منتجها الفكري على الدوام، وتعيد تدوين تاريخ هذه المدينة الإبداعي على مر العصور، ففي صيف كل عام توقد فوانيسه هنا، توقد شعلته لتوهج في سماء جرش معلنة عن بدء فعاليات وكرنفالات مبهجة، فنية وثقافية متنوعة، للتعريف بهذه المدينة الأثرية عالمياً واستقطاب عشاق الفن والأصالة من مختلف دول العالم، إنه مهرجان جرش للثقافة والفنون أحد أهم المهرجانات العربية الذي ترعاه وزارة الثقافة، وقد أصبح نجمة في فضاء الثقافة الإنسانية بما يمتاز به من عروض فلكلورية راقصة، التي تؤديها فرق محلية وعالمية، وأمسيات موسيقية وبرنامج ثقافي

شعري بمشاركة كوكبة من الشعراء المشهورين محلياً وعربياً وعالمياً تقام على هامشه الندوات الفكرية والنقدية، إضافة إلى العروض المسرحية وعروض الأوبرا وحفلات غنائية ضخمة لنجوم في الأغنية العربية والتي تشهد حضوراً كبيراً واجواء من المتعة والبهجة.

كما تقام في شارع الأعمدة معارض لبيع المصنوعات اليدوية والتقليدية التي تمثل تراث محافظة جرش العريق. ويظل هذا المهرجان ييئ الحياة كل عام في هذا المكان الموهل في التاريخ، بهياً مبهجاً يجمع الأسر الأردنية من مختلف المحافظات، إضافة إلى زواره من مختلف بقاع العالم.

وتشهد المحافظة حراكاً ثقافياً وإبداعياً متواصلاً في الأدب والتشكيل والدراما والمسرح بفضل روابطها وهيئاتها الثقافية المنتشرة في كل مكان، إضافة إلى المكتبات العامة فيها الزاخرة بكل أنواع الكتب، وتشرف مديرية ثقافة جرش التابعة لوزارة الثقافة على معظم هذه الفعاليات. وما تزال المحافظة ترفد الوطن بالكثير من المبدعين في مختلف المجالات الذين لهم حضور في المشهد الثقافي الأردني.

وتتشع محافظة جرش بوشاح تراثي جميل، آخذاً خيوطه ورسومه من ألوان زاهية ومتعددة، في مجال العادات والتقاليد والطقوس بفضل التنوع البشري فيها، وما يزال التراث القروي يحافظ على هويته في الزي واللباس التقليدي، حيث يرتدي الرجال الثوب أو القمباز والعباءة، وتعتمر رؤوسهم بالشماع والعقال، وترتدي النساء الثوب الطويل المصنوع من الحرير أو المخمل ذي التطريزة الفلاحية اليدوية، وتعتمر رؤوسهن بالمنديل أو العصبة التراثية الجميلة. وهي تقاليد وعادات متشابهة في أكثر مناطق المحافظة، ذات طقوس فلاحية مثل أغاني الحصادين وتعاليل السامر، وفي الألعاب الشعبية المتوارثة، والأكلات التراثية الجميلة التي ما يزال لها حضور في المطبخ الجرشى.

وتنتشر البهجة في الأعراس التي تحتفظ بتفاصيلها الجميلة من ليلة حناء العروس المزدانة بالأغاني التراثية، والزفة المتشحة بجماليات الأغاريد والزغاريد، وتقديم القهوة السادة والأكلات التراثية كالمنسف للمدعوين، كما أن ظاهرة النقوطة ما تزال ماثلة لما لها من ظلال في التعاون والتكافل الاجتماعي. كما نجد ألواناً رائعة من التراث الشركسي والشيشاني في المحافظة، في الزي المطرز الجميل وفي العادات الاجتماعية وطقوس الزواج وفي مجال

الفلكلور والأغاني والرقصات المنتظمة المعبرة عن الفروسية والانتصار التاريخي في المعارك القديمة.

أتاحت محافظة جرش للشباب فرص الترويح عن النفس وصقل شخصياتهم الرياضية، ومن هنا تم تأسيس مديرية شباب جرش التي بدأت عملها في قيادة العمل الشبابي على مستوى المحافظة باستخدام المبنى النموذجي الذي شيد داخل حرم المجمع الشبابي للقيام بالعديد من البرامج والورش والأنشطة المختلفة. كما تنتشر في المحافظة العديد من المراكز الشبابية للذكور والإناث، والأندية الرياضية التي تمارس رياضاتها المختلفة، وبخاصة كرة القدم التي تقام في ملعب الشواهد في المدينة.

وتتميز المحافظة بشبكة من الطرق الرئيسية التي تربطها ببعض المحافظات الأخرى، فضلاً عن الطرق الفرعية والزراعية المنتشرة داخلها التي تربط بين قراها وبلداتها المختلفة لتتيح للمواطنين سهولة التنقل والحركة.

هذه هي جرش، جراسا الحلم البعيد، إنها فردوس من الشجر والماء والحكايا، بلدة الألف عمود، ما تزال شاهدة على حضارة عظيمة لا يطويها النسيان، متحف عالمي ومنجم من كنوز العالم القديم، وتظل يناييعها خريراً متصلاً يشي بالعفوية.



## الفردوس وعبقرية الإنسان !!

إنها جنة بربوة، هنا، في الركن الشمالي الغربي من العاصمة عمان، حيث الطبيعة الجبلية الخلابة وغابات السنديان واللزاب الكثيفة، التي اعتادت أن تحبى حكايات الإنسان على مدار التاريخ، وهو يطلق لبصره العنان في الأفق المرصع بالغيوم.

إنها سيدة الشجر المعتق بالندى والمدى، والتي عُرفت قديماً بالاسم الأموري (جلعاد)، الذي يعني الصلابة والقوة، نسبة إلى جبالها وتضاريسها الشام، وكانت حلقة وصل بين بلاد الشام وساحل البحر الأبيض المتوسط، وقد أدرك هذه الأهمية القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي ليأمر ببناء قلعة على أحد جبال بني عوف في غابر الأيام. وظلت على الدوام منطقة استراتيجية بين أرض الفرات وأرض النيل، وقد تبوأ مركزاً متميزاً في العصور القديمة.

سُميت عجلون بهذا الاسم نسبة إلى أحد ملوك مؤاب واسمه عجلون عاش قبل الميلاد، وفي رواية أخرى أن عجلون كان راهباً يسكن ديراً في قمة أحد جبالها العالية، ويرجع البعض الاسم إلى الكلمة الآرامية التي تعني المكان الصغير المستدير.

لقد كانت ومنذ القدم محجاً للرحالة والمؤرخين، يطوفون في هضابها بين آثارها وأوابدها، فيكتبون ويبدعون، فهذا الشيخ شمس الدين الدمشقي يكتب عنها قائلاً: (وفيها حصن حسن حصين، وفيه مياه جارية وفواكه كثيرة وأرزاق غزيرة).

أما ابن بطوطة فقد وقف على عتباتها واصفا إياها: (( ثم سافرت من نابلس إلى مدينة عجلون، وهي مدينة حسنة لها أسواق كثيرة وقلعة خطيرة ويشقها نهر عذب)). وها هي محافظة عجلون على العهد بها، مرتعاً لكل الألق والجمال، حيث أهلها النشامى الطيبين، وهذا التجانس الاجتماعي الأمثل بين مختلف مكوناتها الاجتماعية بين قراها وحاضرها، بين مسلميها ومسيحييها، نسيج اجتماعي فسيفسائي في أبهى الصور وأرقاها من التعايش والمصاهرة والقربى.

ها هي تكبر مع مرور الأيام، فارشة ظلها على ربوع الوطن، وهي التي أطلق عليها المغفور له الملك الحسين بن طلال لقب (المحافظة الجميلة) لما تتمتع به من أشجار باسقة، ونبايح عذبة، وأودية خلابة، وغابات متشابكة على مرمى البصر، واستراحات ومطاعم سياحية، فضلاً عن الخرب القديمة ومقامات الأولياء والصالحين، ومساجدها التراثية المنيعة ومآذنها العالية كما

في مسجد عين الكبير ذي أطول مثذنة في المملكة، وبكنائسها التاريخية المشهورة، إنها فردوس من الأحلام والصور وجماليات الطبيعة البكر، ومن المواطنة الصادقة ومختلف العادات والتقاليد التي تبعث على التماسك وحب الوطن.

مدينة عجلون هي مركز المحافظة، إنها العتيقة الموشحة بالأصالة والمعاصرة، ومن اعتادت أن ترسم ألوان البهجة على وجوه العابرين هنا، والقادمين إليها للترهة والاستمتاع من مختلف اقطار الدنيا، فهي ذات مناخ فريد من نوعه، معتدل صيفا وماطر شتاءً، تكسوها الثلوج بقسوة وتتراكم في كل مكان من المحافظة راسمة لوناً أبيض من الصفاء والنقاء وحكمة الطبيعة على مدار الفصول.

وتتميز عجلون ببيوتها التي تتسلق الجبال والتي تتراص معاً في حلة من الجمال العمراني المدهش، حيث نجد الأحياء العصرية، بفللها وعماراتها الحجرية الجميلة، إلى جانب الأحياء الشعبية ذات المباني القديمة ذات النمط العثماني، حيث تنتشر الأزقة الضيقة والحارات الشعبية، والشوارع المكتظة الصاخبة بجركة المتسوقين والعابرين، المزدهمة بالمتاجر والمعروضات التراثية والتحف الشرقية، بالبقالات القديمة والأسواق الشعبية التي يعرض فيها

مختلف أنواع البضائع التي تشهد ازدهاراً من المتسوقين، وقد كانت فيما سبق تختص ببيع النباتات الطبية الرعوية ومستلزمات الفلاحة.

هنا نجد شارع القلعة الذي يمتد طويلاً في قلب المدينة حتى يصل إلى قمة الجبل الذي تربض عليه القلعة السماء، وهي تبدو للناظرين من بعيد مثل لبؤة حجرية عملاقة تحرس المكان والزمان. وهو شارع تنتشر على جانبيه مجموعة من الحوانيت والأبنية التراثية ذات الطابع العثماني، بالمداخل ذات العقود النصف برميلية، أما أبوابها ونوافذها فهي تتميز بجنبة نصف دائرية، وجماليات تكوين مدهشة، وقبل أن يصل هذا الشارع الجميل إلى ساحة القلعة، يطالعنا فندقان تراثيان جميلان يعملان على استقطاب السياح وتقديم الخدمات اللائقة بهم، وهما يشرفان على هضاب المحافظة ووديانها الساحرة.

وفي قلب المدينة تنشد الأنظار إلى مسجد عجلون الكبير، إنه معلم أثري تاريخي مهم، وهو من أقدم المساجد في المملكة حيث يرجع تاريخ بنائه إلى العهدين الأيوبي والمملوكي، يمثل بناؤه المعماري إلى فلسفة العمارة الإسلامية في تلك الفترة، حيث شكل

المحراب والصحن والمتوضأ والجدران، وهو ذو بناء قوسي جميل يريح أبصار الناظرين والمؤمنين الذين اعتادوا الصلاة فيه.

وينحدر من المدينة باتجاه كفرنجمة واد ساحر لا مثيل له، كأنما هو اللوحة الأجل التي يتخللها الشجر الباسق والينابيع الصافية وتراويد الفلاحين، إنه وادي الطواحين، هذا الذي يكشف مفاته رويداً بلا عجل، يكشف عن خرائبه الأثرية والجسور الرومانية وما تعاقب عليه من حضارات، ويوشوش لنا أنه كان عامراً بطواحين الحنطة التي تربو على العشرين، وهي تطحن الحبوب بطرق تقليدية بفضل دواليب تُدار بواسطة الماء المتفجر هنا، ما تزال منها بقايا تدل على تلك الحقبة من الزمان، إذ كان هذا الوادي عامراً بالضجيج والضحكات، ها هي أشجاره المورقة وينايعه ما تزال ماثلة لأنظار كل من يعشق الجمال والهدوء، ولحظات التصوف في هذه الطبيعة الخلابة، حيث تشكيلات الصخور المذهلة، والأعشاب المائية ذات الرائحة الزكية، وحفيف الشجر الذي يبعث ألحانه موسيقى من ريف الأردن الجميل.

وفوق ربوة تشرف على المدينة، حيث أضواؤها في الليل مثل الكواكب الدرية اللامعة، أنشئت حديقة القرية الحضرية وهي نموذج للقرى والحداثق الراقية التي تتدفق بالحياة، مؤتثة ببنية تحتية

متطورة تشتمل على حدائق مرورية وملاعب للأطفال وعمرات  
ومدرجات حجرية، وساحات ومسارح ومركزاً لتكنولوجيا  
المعلومات، لتكون متنفساً لأهالي المدينة يرتادونها ليجدو فيها  
خدمات سياحية وترفيهية شتى، ضمن برامج وأنشطة متنوعة.

ولا بد هنا من الإشارة إلى مدرسة الهاشمية الثانوية الشاملة  
للبنين إذ تشير السجلات الرسمية والوثائق الموجودة في أرشيف  
المدرسة على أنها من أقدم المدارس في المملكة، تأسست عام  
1925، وهي عضو في شبكة المدارس المنتسبة لليونسكو، وها هي  
مائلة للعيان لمحاظة ببساط أخضر وارف الضلال من أشجار  
البلوط والسنديان والبطم، على ربوة مشرفة على بلدة الهاشمية،  
وقد تشرفت هذه المدرسة العريقة بتخريج العديد ممن تقلدوا  
مناصب عليا في الدولة، وما تزال إسهاماتهم ماثلة للعيان في  
خدمة هذا الوطن الجميل.

وفي مجال التعليم العالي فقد أنشئت على مدخل مدينة  
عجلون ( كلية عجلون الجامعية) وهي من أعرق الكليات في  
الأردن حيث أسست في العام 1964 باسم (معهد معلمات  
عجلون) وهي الآن تتبع لجامعة البلقاء التطبيقية، ساعية لأن  
تصبح برامجها موائمة لمتطلبات العصر، وتحقيقاً لهذه الرسالة فإن

الكلية تهدف الى إعداد خريجين مدربين في مختلف التخصصات الأكاديمية، وإلى التواصل مع مؤسسات المجتمع المحلي، والمشاركة في المناسبات الوطنية والدينية المختلفة.

لنجد هنا وعلى سفوح أحد جبال عجلون مستشفى الإيمان بين أكمات من الأشجار المورقة، وقد أطلق عليه هذا الاسم بناء على رغبة ملكية سامية، وهو يتكون من عدة طوابق، وقد جرت توسعته في الآونة الأخيرة لاستيعاب أكبر عدد ممكن من المرضى في أقسامه الطبية المختلفة.

وتظل العين تمحّن إلى فنتتها، لأن القلب يعرفها جيداً، يعرف روايبها وجناتها المورقة بالخضرة اليانعة، يعشق آثارها القديمة، خرباتها ومنتزهاتها، غاباتها ومراعيتها. عندما تقف هنا أيها الزائر فإن البصر لا يكف عن التحديق في هذا البهاء الممتد، وإن بصيرتك يا أيها المفتون حتما تفكر بعبقرية الإنسان وهو يبني هذه الصروح ويكون حضارة لا يححوها النسيان، إنها أمكنة خالدة في ذاكرتنا الجمعية؛ لأنها ممتدة في الأزمنة السحيقة، تظل شاهدة على حضارة هذا البلد، وهو بحجم بعض الورد إلا أن له شوكة ردت إلى الشرق الصبا...

على قمة أحد جبال بني عوف ها هي تحديق بنا، تحديق بها، كأنما سلام غير مرئية من الوجد تصاعدنا إليها، إنها قلعة عجلون، قلعة الریض، هذه التحفة الأثرية العملاقة التي بناها القائد عز الدين أسامة بأمر من القائد صلاح الدين الأيوبي لتكون نقطة ارتكاز تحمي المنطقة من هجمات الأعداء، وتحافظ على خطوط المواصلات القديمة وطرق الحج بين بلاد الشام والحجاز، إضافة إلى استغلال مناجم الحديد الذي كان يُستخرج من مغارة (وردة) في راجب، من أجل صناعة السيوف.

وقد بُنيت من حجارة المنطقة على شكل شبه مربع، وفيه ستة أبراج، كل برج يتكون من طابقين، ومن جسر خشبي متحرك يعبر الزائرون من فوقه وهم يحملون الشوق لمعانقة جدرانها المليئة بالأسرار والذكريات، وكانت بعض الأبراج تستعمل كمحطات لبريد الحمام الزاجل، وعلى واجهاتها تم فتح نوافذ خاصة للمراقبة والدفاع، وهي محاطة بمخندق عميق، وأشار بعض الباحثين إلى أن (المدرسة اليقينية) وهي أقدم كلية طبية في العالم الإسلامي، قد بُنيت هنا، وكانت جزءاً من هذه القلعة. وفيها متحف يحوي العديد من القطع الأثرية الرائعة التي تؤرخ لتلك الأزمنة البعيدة.

هذا الطريق الريفي الفاتن، المحاط بالأحراش البرية والموارس والهضاب، يدل القلب عليها، وهي هناك فوق التل الصغير تصغي السمع إلينا، نحن القادمون إليها من بعيد، إنها مارلياس، إلى الشمال الغربي من مدينة عجلون، كأنما تتهدج وحيدة في هذا الخلاء، حيث الشجر الملتف على مرأى من بيسان وطبريا وجبل الشيخ، يصعد الزائر إليها عبر هذا السلم الخشبي العتيق المبني بين الأشجار الباسقة، ويظل يصعد حتى يجد هذه الساحة العلوية المبلطة، ثم يصعد قليلاً ليعثر على أرضية لكنيسة قديمة تتوشح برموز ورسومات فسيفسائية نادرة، وقد كشفت التنقيبات الأثرية في هذا المكان المدهش عن وجود كنيسة ضخمة ترجع إلى بداية القرن السادس الميلادي رُصعت أرضيتها بقطع الفسيفساء الملونة، كما تم الكشف عن كنيسة أخرى أصغر حجماً تقع إلى الجهة الغربية، قريباً من الجسر الخشبي، تعود إلى فترة زمنية قديمة جداً، وقد اعتمد من ضمن مواقع الحج المسيحي.

مارلياس تل مقدس بالصمت والحكايا المخبوءة، ارتبطت تسميته بالنبي إيليا(إلياس) عليه السلام الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، ويُعتقد أن هذا النبي الكريم ولد في قرية (لستب) التي تقع على بعد نصف كيلو متر إلى الغرب من هذا التل.

في مارلياس نبض من الأزمنة الغابرة، وبقايا تراتيل وأناشيد  
تصعد إلى السماء، كأنما هي معراج الروح للصلوات الخافتة  
والطمأنينة والسكون، هنا نلمح شجرة سنديان ملغزة بالأسرار  
والأمنيات، وقد التفت على أغصانها مئات الشرائط والخيوط،  
لعلها شجرة البركة والحظ السعيد، كأنما هي شجرة من ميثولوجيا  
ومعتقدات ما تزال ساكنة في الأعماق؛ لأن الشجرة في الأصل  
هي أم، ومن رموز الحياة.

ولا تكف الأماكن في محافظة عجلون عن بوحها وتغاريدها،  
في بلدة عنجرة هذه الموشحة بالجمال والدهشة، بشوارعها ذات  
المسحة القروية، وبيوتها المتداخلة ذات البناء الجميل، لمجد مزار  
(سيدة الجبل) هذا المزار الذي اعتُبر من المواقع الخمس المعتمدة  
من الفاتيكان للحج المسيحي، وتعود أهمية هذا المزار إلى الاعتقاد  
بأن السيد المسيح ووالدته القديسة مريم العذراء أمضوا فترة  
وجيزة في أحد كهوف عنجرة، فتم بناء كنيسة سُميت ب(كنيسة  
سيدة الجبل)، تعود إلى القرن الرابع الميلادي وقد أقيمت الكنيسة  
الجديدة على الموقع القديم العام 1932 وقد أحضر تمثال قديم من  
الخشب للسيدة العذراء ونُصب فيها، كما قام الرسام الإيطالي  
(ميكاليني) برسم جدارية تمثل حياة المسيح في عنجرة.

وفي وادي راجب حكاية أخرى من حكايات عجلون، حكاية شلال الماء والبساتين الفيحاء، هذا الوادي الساحر بأشجاره حيث الرمان واللوزيات والتين والزيتون، ويعتبر من أهم المصادر المائية في المحافظة، ويروي ما يقارب 43 ألف دونم تُزرع بمختلف الخضراوات والأشجار المثمرة، إنه وادي مكلل بأزاهير الدفلى وهي تيمس على مرأى من الشلال المندفَع وتشكيلات الصخر التي تبدو مثل أحفورات من أزمنة سحيقة، هنا حيث الطواحين القديمة والجسور الخشبية وأشجار المشمش والأسكندنيا. وتشير التنقيبات الأثرية القريبة من هذا الوادي إلى أن الإنسان سكنه منذ آلاف السنين، وهو يشرف على القدس الشريف وعلى وادي الأردن.

وقد تم الكشف عن موقعين أثريين قريبا من وادي راجب، الأول مبنى مستطيل الشكل لم يتبق من جدرانه إلا القليل، له مدخل واحد من جهة الغرب، ترصّع أرضيته الفسيفساء الملونة ذات الأشكال النباتية المتشابكة، والموقع الثاني إلى الجنوب، بناء مستطيل الشكل، وهو كنيسة مرصعة أرضيتها بالفسيفساء، تظهر الحنية فيها وقد غطت أرضيتها مزهرية فسيفسائية تخرج منها كرمة ذات عناقيد، ويقابل المزهرية من الجهتين طائر طاووس.

وتضم إحدى الكنائس كتابة سريانية نادرة من نوعها، وقد أجريت عمليات الصيانة والترميم لعناصر الكنيسة المعمارية والزخرفية. كما يظل التل البيزنطي هنا في راجب شاهدا على كثير من تفصيلات تلك الأزمنة البعيدة.

ويتشر في محافظة عجلون العديد من مقامات الأولياء والصالحين، وهي مقامات تمثل في الوجدان الشعبي قداسة من نوع ما، هؤلاء المبروكين الذين زهدوا بالحياة الدنيا من أجل مبادئ عليا، فنجد مقام سيدي بدر، ومقام الصخر واري في بلدة صخرة، ومقام محبوب في بلدة عين جنا، كما نجد مقام الولي الخضر وهو من القديسين وأولياء الله الصالحين، ذاع صيته بين الناس، وله مقامات عديدة في الأردن، لما عُرف عنه من إخلاص في العبودية لله عز وجل وزهد في الحياة الدنيا. كما نجد إلى الشمال الغربي من خربة الوهادنة ضريح الصحابي الجليل عكرمة بن أبي جهل الذي شارك في حروب الردة وفي فتح بلاد الشام، واستشهد في معركة اليرموك.

ولأهداف بيئية وسياحية فقد تم إنشاء محمية غابات عجلون وهي تحوي سلسلة من الأودية المتعرجة، والأكواخ الخشبية السياحية، وتكمن الأهمية البيئية للمحمية بتمثيلها لنمط غابات

البلوط دائمة الخضرة التي تتكاثر بغزارة في شمال الأردن، وتتكون المحمية من مساحات مغطاة بالغابات التي تنمو فيها أشجار الخروب والبطم والقيقب، كما تحتضن المحمية العديد من الحيوانات البرية كالغزلان والثعالب، وتنتبت فيها العديد من الأزهار القروية مثل السوسنة السوداء وأزهار الأوركيدا، وهي منطقة مهمة في احتضان الطيور وحمايتها في المملكة.

وها هي خربة الوهادنة ذات الإطلالة الساحرة على الأغوار الشمالية، ها هي ترحب بالقادمين إلى شموخها وعراقتها، إنها المنطقة الممتدة بين الشفا والغور، ذات الكروم والطبيعة الجذابة، وهي منطقة تشتهر بكثرة الخرب فيها، والبيوت التراثية، والمغاور والعرقان الموغلة في القدم التي تحوي سراديب بعيدة المدى، إضافة إلى مخلفات أثرية وقطع فخار تعود إلى العصرين النحاسي والبرونزي.

في (اشتيفينا) لا مثيل لهذا الجمال، تستحق أن تكون متجعجا سياحيا عالميا، وهي أعلى مناطق عجلون ارتفاعا، ومن أجل المصايف في الأردن، هنا في اشتيفينا تترتاح النفوس من تعب الحياة، من روتين العمر وسطوة الأرقام والمادة، وهي تنشدها الجمال في هذه الغابات الممتدة حيث الهضاب المطرزة بالخضرة والفرح،

وتغريد العصافير الشقية على مرأى من هضاب راسون وهي تترأى هناك، باعثة أنغاما من بوح الغابات وحكايا الشجر.

محافظة عجلون ذات تضاريس متميزة بين المناطق المرتفعة والمنخفضة ( الشفاغورية )، وهي ذات خصوبة في تربتها، الأمر الذي أضفى عليها ميزة من التنوع في الإنتاج الزراعي، فضلاً عن انتشار الينابيع والجداول والآبار الارتوازية، وهي خصيصة خلقت منها بيئة زراعية استثمارية ممتازة، فانتشرت في المحافظة زراعة الحبوب والخضروات والفواكه والحمضيات واللوزيات، والمشاتل وبناء البيوت البلاستيكية العديدة.. وتتوفر في المحافظة مساحات هائلة من الأراضي الحرجية والمراعي الشاسعة.

كما تشتهر محافظة عجلون بغطاء واسع من أشجار الزيتون من مختلف الأعمار، فنجد الزيتون الرومي ذا الجذوع الهرمة المخروقة الساق، الذي يتجاوز عمره مئات السنين فضلاً عن الزيتون النبالي الذي يكثر عليه الطلب لجودته العالية. وتشتهر كذلك بامتداد كرومها من كرمة العنب بأنواعه المختلفة، والتين والتفاح والأشجار الحرجية مثل اللزاب والسنديان والأرز والمول والخروب. إنه تنوع زراعي ملموس يجعل من هذه المحافظة مكتفية بذاتها.

وفيما يتعلق بالثروة الحيوانية فإن محافظة عجلون تشتهر بتربية الحيوانات كالماعز والأبقار والخراف البلدية والخيول الأصلية فضلاً عن تربية النحل والأرانب والدجاج والديك الرومي، وهي ثروة حيوانية تشكل في مجملها قيمة استثمارية وغذائية كبيرة، ترفد السوق المحلي بكميات وافرة من اللحوم والبيض ومشتقات الحليب المختلفة. وفي الغابات الشاسعة تنتشر الكثير من الحيوانات البرية، والطيور بمختلف أنواعها.

تميز محافظة عجلون بنموها الاقتصادي والاستثماري، فنجد فيها العديد من الشركات الصناعية والاستثمارية، ومنشآت اقتصادية عديدة في قطاع التجارة وبيع المركبات وصيانتها والسلع الشخصية والمنزلية، فضلاً عن المنشآت في قطاع الصناعة والتعدين، كما تنتشر في المحافظة معاصر الزيتون لأنها من أكثر المحافظات الأردنية إنتاجاً وتسويقاً لمادة زيت الزيتون البلدي الرائع المذاق. وفي المحافظة العديد من مطاحن القمح التقليدية التي تلبي احتياجات المواطنين من مادة الطحين، وتنتشر فيها الكثير من المقالع والحاجر التي تؤمن أحجار البناء بمختلف الأشكال والأنواع، والتي لها أضرار على بيئة المنطقة.

عجلون من أقدم الحواضن الثقافية والفكرية في الأردن، فإلى قرية باعون الجميلة الوداعة بين الغابات على السفوح، تُنسب الشاعرة المتصوفة المشهورة عائشة الباعونية، ذات الصيت الواسع في العلم والأدب والقضاء، والتي لها مصنفات تربو على العشرين في اللغة والتصوف وعلوم الدين. كما يُنسب إلى عجلون العديد من العلماء والشعراء منهم عمر المعري العجلوني والعالم فضل بن عيسى العجلوني، مما يدل على أن الحركة الثقافية في عجلون كانت مزدهرة عبر العصور.

وقد اختيرت المحافظة في عام 2013 لتكون مدينة الثقافة الأردنية لتشهد متواليات من الحراك الثقافي النشط في مختلف المجالات، ويُقام في المحافظة العديد من المهرجانات السنوية مثل: مهرجان عجلون العباة الخضراء، ومهرجان صهيل ومهرجان التراث العجلوني والصعود إلى القمة، كما تشهد المحافظة حراكاً ثقافياً وإبداعياً متواصلاً في الأدب والتشكيل والدراما والمسرح بفضل روابطها وصلواتها وهيئاتها الثقافية المنتشرة في كل مكان، إضافة إلى المكتبات العامة فيها الزاخرة بكل أنواع الكتب، وتشرف مديرية ثقافة عجلون التابعة لوزارة الثقافة على معظم هذه الفعاليات. وما تزال المحافظة ترفد الوطن بالكثير من المبدعين

في مختلف المجالات الذين لهم حضور في المشهد الثقافي الأردني،  
وما هو الشاعر المرحوم ادوارد عويس يتغزل بعجلون شعراً:  
-عجلون والسحر والأحلام والصور نبع الجمال وحسن  
خالد عطر.

وتظل عجلون ذاكرة مكان وبوح من أغاريد الإبداع  
الأصيل.

وتتوشح المحافظة بوشاح تراثي بهي مرسوم من خيوط  
الكرامة والتمسك بالمبادئ والقيم المثلى، بالعادات والتقاليد  
الحميدة، تراث يعكس مختلف مكونات المجتمع العجلوني، وما  
يزال التراث القروي يحافظ على هويته في الزي واللباس  
التقليدي، حيث يرتدي الرجال الثوب والقمباز والعباءة، وتتمتع  
رؤوسهم بالشماع والعقال، وترتدي النساء الثوب الأسود الطويل  
المصنوع من الحرير أو المخمل ذي التطريزة الفلاحية اليدوية،  
وتتمتع رؤوسهن بالمنديل أو العصبة التراثية الجميلة.

وهي تقاليد وعادات متشابهة في أكثر مناطق المحافظة، ذات  
طقوس فلاحية مثل أغاني الحصادين وتعاليل السامر، وتنتشر  
البهجة في الأعراس التي تحتفظ بتفاصيلها الجميلة من ليلة حناء  
العروس المزدانة بالأغاني التراثية، والزفة المتشحة بجماليات

الأغاريد والزغاريد، وتقديم القهوة السادة والأكلات التراثية كالمنسف للمدعوين، كما أن ظاهرة النقوط ماتزال ماثلة لما لها من ظلال في التعاون والتكافل الاجتماعي.

ولأن الشباب عماد الوطن وحماته فقد أتاحت لهم محافظة عجلون فرص الترويح عن النفس وصقل شخصياتهم الرياضية، ومن هنا تم تأسيس مديرية شباب عجلون التي تبنت برامج عديدة من خلال التعاون والتشارك والتشبيك مع مختلف المؤسسات الرسمية والمدنية؛ لعقد الندوات والمحاضرات وورش العمل للشباب في المحافظة .

وانطلاقاً من الأهداف النبيلة في خدمة الشباب وتنمية مهاراتهم ومواهبهم فقد تم تأسيس مركز شباب عجلون ومعسكر الحسين للشباب الذي يقوم بتنظيم معسكرات صيفية لما يمتلكه من مقومات تحتية من شاليهات ومساح وملاعب رياضية وقاعات للاجتماعات.

كما تنتشر في المحافظة العديد من المراكز الشبابية للذكور والإناث، والأندية الرياضية التي تمارس رياضاتها المختلفة في ملعب عجلون التابع لمجمع عجلون الشبابي الذي يخدم الحركة

الشبابية والرياضية في إجراء التدريبات واتاحة ممارسة مختلف الرياضات والهوايات عن طريق صالاته المغلقة المتعددة الأغراض. وتتميز المحافظة بشبكة من الطرق الرئيسة التي تربطها ببعض المحافظات الأخرى، فضلا عن الطرق الفرعية والزراعية المنتشرة داخلها والتي تربط بين قراها وبلدتها المختلفة لتتيح للمواطنين سهولة التنقل والحركة.

هذه هي عجلون، فردوس من سحر الطبيعة وعبقرية الإنسان، غابات خلابة وحكايا السنديان العتيق، المحافظة الموغلة في التاريخ، بآثارها الشاهدة على حقب زمنية متعددة، أمكنة من التصوف والنبض الشعري، وتظل على الدوام مصيفاً يفيض بحكمة الماء وعدوية الجمال، ولا يغيب عن البال!



## سادنة الفيسفاء!!

هذه هي مادبا، ذات الموقع المتميز في وسط المملكة، إنها المحافظة الموغلة في القدم، الغنية بموروثاتها وتاريخها العريق، إذ شهدت العديد من الحضارات المتعاقبة منذ فجر التاريخ، وقد ذُكرت في الأسفار القديمة على أنها المدينة المؤابية ميدبا، وتقف اليوم على الحد الفاصل بين شمال المملكة وجنوبها، مطلةً على سد الموجب وهو يغفو في قيعان الأودية ناسجا دربا يتلوى كالأفعى الأسطورية على سفوح الجبال.

وهي الجارة الأزلية للعاصمة عمان على بعد 32 كيلومتر منها، الأمر الذي أكسبها حيوية ديمغرافية وموقعا استراتيجيا، إضافة إلى تنوعها السكاني والعشائري الذي أضفى عليها طابعا اجتماعيا فسيفسائيا، وخلق في بيتها المعيشية توافقا وانسجاما بين المسلمين والمسيحيين على حد سواء، ليتجاور المسجد والكنيسة معا في تواشج ديني لا نظير له.

مادبا ذات مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط الحار صيفا والمعتدل الماطر شتاء، مما أكسب سهولها وتلالها خضرة يانعة وجعلها تبدو للناظر من بعيد تحفة طبيعية لا مثيل لسحرها. وما

تزال المدينة تحافظ على رونقها الجمالي، بشوارعها الضيقة المبلطة، وغنى المشاهد العمرانية فيها، ذات الطابع الكلاسيكي القديم، الشبيه بمدينة رودس اليونانية، وبجوانيتها ومحلات بيع التحف والهدايا التذكارية، مساجدها المنيية وكنائسها العتيقة، لتشهد كل عام حركة سياحية نشطة، فيؤمها السياح من مختلف بقاع الدنيا.

في قلب المدينة نجد شارع العشاق بحكاياه الوفيرة، ونلمس سحر الشرق في شارع السمكرة العتيق بمقاهيه، وبالمناجر الشعبية ومحلات الصناعات التقليدية التي نقلها الأحفاد عن الأجداد، وعلى ضفاف هذا السوق تربض طاحونة عمرها عشرات السنين تشكل معلما بارزا في المدينة تحبب بين ضجيجها حكايات الفلاحين والحصادين، ومن مروا بها في غابر الأيام، وعلى الدوام يؤم هذا السوق البديع مختلف شرائح المجتمع.

ويلمس الزائر لمدينة مادبا أحياء عصرية تنتشر فيها القصور الحجرية والفلل القرميدية، كما نجد الفنادق السياحية ذات الطابع البنائي المرموق، والشوارع المزدانة بالشجر، وهناك تماثيل عديدة على مداخلها تمثل الفارس فوق حصانه، أو غزلان البرية، دلالة على هوية المدينة ورموزها التاريخية.

ترتبط مادبا مع مثيلاتها من المحافظات الأردنية بشبكة طرق رئيسة، ومنها الطريق الذي يربطها بالعاصمة عمان وكان يسمى قديما طريق الملوك، وأخرى داخلية في مركز المدينة لتلبية الاحتياجات الخاصة بالمواصلات والمرور.

إن أبرز ما يميز محافظة مادبا عمقها التاريخي الحضاري الذي يدلل عليه موقعها المتميز على خارطة السياحة العالمية. إنها المحافظة الموشحة بالمساجد العتيقة ذات القباب الجميلة والمآذن العالية، ومنها مسجد المسيح عيسى بن مريم، هذا المعلم الديني البارز، والذي بُني لترسيخ قيم التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين في مادبا في أبهى صور التعاون والاحترام المتبادل. إن المواقع السياحية الدينية والتاريخية الرائعة هنا هي أيقونة السياحة الأردنية، ويبرز منها العديد من المواقع الأثرية المهمة عالميا من مثل: كنيسة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس (كنيسة الخارطة) وكنيسة الرسل، كنيسة العذراء، وكنيسة الشهداء، القصر المحترق، كما يُعد جبل نبو، وموقع قلعة مكاور من أبرز المواقع الأثرية جذبا للسياح.

وترسيخا لمفهوم السياحة المتحضرة، فقد تم إنشاء (مركز زوار مادبا) في قلب المدينة، ليقدم الإرشادات السياحية للزوار،

ويكون بمثابة البوصلة التي ترشدكم إلى المواقع التاريخية والأثرية كافة، فضلا عن تقديمه العروض الفيلمية حول تاريخ المدينة ومواقعها السياحية المختلفة.

هنا، في متحف مادبا الأثري، نكتشف المزيد عن هذه المحافظة الغنية بموروثاتها، سواء من خلال الخرائط الفسيفسائية المدهشة، أو من خلال النمط العمراني للبيت المادباوي القديم، حيث الأقواس والقناطر وأسقف الخيزران والقصيب، إلى جانب بهو يضم العديد من أشكال القطع الأثرية النادرة، وأنماط مختلفة من الزي البدوي والريفي للإنسان الأردني.

ومن جانب السياحة العلاجية فهنا في هذا الوادي البركاني العميق المحاط بجبال شاهقة داكنة اللون، تندفع الشلالات بإيقاعات الماء المغامر صوب الأودية المنحدرة تجاه وادي الأردن، لتعلن أنها ماعين بمحामاتها الحارة الكبريتية والغنية بالمعادن والوحل البركاني، المفيدة في علاج الكثير من الأمراض الجلدية وآلام المفاصل، في ماعين حكاية الماء يسردها خرير عذب من موسيقى الطبيعة على مسامع الزائرين وهم يستجمون تحت شمس أكثر نقاء، واجدين خدمات تحتية متقدمة في هذا المكان، حيث يتراءى فندق ماعين الفخم بين أكمة من الأشجار المورقة،

الذي يقدم خدماته العلاجية من خلال النادي الصحي الذي يضم عددا من الغرف المتخصصة بالعلاج الطبيعي، وكهوف الساونا الطبيعية والبرك الحارة، كما نجد هنا المتاجر السياحية لتأمين ما يلزم الزائرين.

على التلال الغربية للمحافظة وفي موقع خلاب يطل بهيئته على غور الأردن والبحر الميت نجد جبل نبو، أي جبل النبي موسى عليه السلام، هذا الجبل المعتقد برائحة التاريخ البعيد، والذي تعلوه كنيسة الصياغة الإيوانية الشكل، التي أنشأها رهبان فرنسيسكان بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد، المزينة برسومات فسيفسائية تؤرخ لكثير من أنماط الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمادبا القديمة، إضافة إلى النصب الذي يرمز إلى عصا النبي موسى عليه السلام وقد التفت عليها الأفعى المذكورة في النصوص المقدسة. إن هذا المكان محججٌ بابوي وقد اعتمد من ضمن المناطق الخمسة للحج المسيحي. وعلى مقربة من هنا، تتبع عيون موسى من هذا الكهف الكبير المجوف، لتتنقش لوحة بانورامية من سحر الطبيعة وتفاصيل الحجر والشجر، تسرد جداولها العذبة المناسبة من بين الأغصان المتدلّية والحشائش، حكاية الأنبياء وقصص الماء خلال التاريخ.

إلى الجنوب الغربي من مادبا، على هذه التلة التي تنام في  
حوض المنحدرات، على مرأى من البحر الميت وأسراره، تطالعنا  
بقايا من قلعة مكاور، وهي تختزن في حجارتها المنثورة هنا وهناك  
قصة النبي يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان)، وخيوط المؤامرة  
التي حيكت ضده وراح ضحيتها، إبان حكم القائد هيرودوس،  
وما تزال الآثار هنا شاهدة على تلك القصة التي تمثل صراع قيم  
الحق والخير أمام البطش والظلام.

وللربيع وشوشاته الجذلى، هنا في هذا السحر الخرافي، على  
هذا الرداء الموشح بأشجار الصنوبر والعشب البري، إنه وادي  
الواله بمكوناته الجيولوجية المذهلة، بما تبقى من طواحين الخنطة  
العتيقة، حيث الماء والطبيعة البكر وأسرار الحكمة في الصخور  
العالية، هنا وهؤلاء الصيادون يرمون شباكهم لصيد أسماك  
(الحفافي) النهرية الصغيرة وهي تراقص تحت الماء.

ويقودنا خرير الشلال إلى وادي الهيدان، حيث الشجر  
والتلال المعطرة برائحة التاريخ، حيث روابي ذيبان الغنية بالحكايا  
والتراويد. وقد انتشرت نباتات الشلوة في سهولها لترسم بأزهارها  
الصفراء الناعسة منظرا خلابا، يضاف إلى موارسها وتلاها  
ومساجدها العتيقة المقبية، كما تحتضن روابي ذيبان مقام الصحابي

الجليل أبو ذر الغفاري الذي كان له مواقف عظيمة في خدمة الدين الإسلامي الحنيف.

إن الطابع الريفي لمحافظة مادبا وخصوبة أراضيها وتوفر المياه ومناطقها الغورية و الشفاغورية، جعل منها منطقة زراعية بامتياز، فاكنتس جبالها وتلاها بالأشجار المثمرة والحرجية، وتشتهر المحافظة بمساحات سهلية مزروعة بالمحاصيل الحقلية المختلفة، وتناثر البيوت البلاستيكية المزروع فيها شتى النباتات والمحاصيل.

وقد ساعد تنوع التضاريس في المحافظة وانتشار الموارس الواسعة المنبسطة على توفر الظروف الزراعية المناخية المناسبة، ليجعل هذه المحافظة ترفد المملكة بكميات وافرة من الحبوب والخضراوات والفواكه والزيتون، ويُذكر أن ظاهرة الزحف العمراني بدأت تهدد الأراضي الزراعية الخصبة التي كانت مصدرا للحبوب والزراعات الصيفية التي كانت تُصدر إلى كثير من الدول المجاورة. وفي جانب الثروة الحيوانية فإن المحافظة تشتهر بتربية العديد من الحيوانات المختلفة من الماشية والماعز والإبل بسبب توفر الغطاء العشبي وحقول الرعي الممتدة، وهي ثروة تغطي حاجة المجتمع المحلي من اللحوم ومشتقات الألبان، كما أنشأت وزارة الزراعة محطة الواله الزراعية، لتنمية الثروة الحيوانية

والنباتية، حيث يُربى الماعز الشامي، ليمد المزارعين بسلالات متطورة ومحسنة منها، ويغطي حاجة المجتمع المحلي من منتجاتها، إضافة الى تحسين السلالات النباتية المختلفة وبخاصة الفواكه والحمضيات منها.

كما خطت المدينة في الجانب الاستثماري والصناعي خطوات ملموسة، فوجد العديد من المصانع المتخصصة بالصناعات الغذائية والدوائية، وقد سعت المحافظة إلى دعم التشغيل والتدريب المهني والتقني، وذلك بجهود مؤسسة التدريب المهني في المحافظة، حيث تعمل مراكزها على تقديم برامج تدريبية مجانية للشباب والشابات. ولأن مادبا مدينة الفسيفساء الأردنية، حيث تنتشر هذه الرسومات المكونة من قطع حجرية صلبة ملونة في أغلب مواقعها الأثرية على شكل خرائط ونقوش، فقد تم إنشاء معهد مادبا لفن الفسيفساء والترميم، تحت إشراف دولي وعلى أيدي خبراء محليين لمنح درجة الدبلوم في هذه المهنة التقليدية الرائعة، للمحافظة عليها من عوامل النسيان، ولخلق أباد عاملة مؤهلة وفرص استثمارية يستفيد منها المجتمع المحلي.

مادبا ذاكرة مكان وحكاية من فسيفساء المطارح، اختيرت في عام 2012 مدينة الثقافة الأردنية لتشهد المدينة متواليات احتفالية

ابداعية على مدار العام، وتغدو كرنفلاً مشعاً، لأنها ما برحت مدينة الرواد من المبدعين الذين أسسوا للحركة الثقافية في الأردن من مثل الروائي غالب هلسا، له العديد من الروايات، منها: (سلطانة) و(ثلاثة وجوه لبغداد) والأديب السياسي سالم النحاس صاحب رواية (أوراق عاقر) والعلامة الباحث في التراث روكس العزيزي، الشهير بكتابه لمسلسل عمر بن عدوان في نسخته الأولى وكتابه (معلمة التراث الأردني) ولتشهد قاعة دير اللاتين أول التجارب المسرحية الرائدة في بداية القرن العشرين، وما تزال المدينة تمارس حراكها الثقافي والإبداعي بفضل هيئاتها وروابطها وبمختلف الوسائل والصور.

ما انفكت مادبا تحافظ على هويتها التراثية لأنها منجم ثري بمكونات التراث الأردني ومفرداته، فما زلنا نلمس العديد من أشكال الفلكلور الأردني، في احتفالات السامر المحافظ على قلبه الشكلي في الاصطفاف والدحية ووجود الحوشي، وفي الأغاني الشعبية والأهازيج الصادحة في مواسم الأعراس والحصاد والطقوس الاجتماعية المختلفة، ذات البنى اللحنية الرهيفة على المسامع والحزينة في المراثيات.

كما نلاحظ هذا الفلكلور التراثي الجميل في الزي البدوي والقروي الذي يجلل الناس بالأصالة والاعتزاز بتراث الأجداد، إنه الارتباط بالجذور الحية ضمن باقة من العادات الاجتماعية والتقاليد.

من السهولة بمكان هنا أن نتذوق الأكلات التراثية اللذيذة، من مثل المنسف والرشوف الذي يُطهى داخل القدور الصغيرة، كما تتم هنا صناعة الجميد البلدي ذي الكرات البيضاء المستديرة لتلبية حاجات المجتمع المحلي. ومن جانب آخر فقد تم إنشاء جمعية نساء بني حميدة للنسيج، وهو مشروع يهدف إلى إحياء حرفة النسيج التقليدية باستخدام المغازل الخشبية والنولات الأرضية، لصناعة السجاد والبسط الأردنية ذات التصاميم الفريدة والألوان الزاهية، كما يهدف إلى التنمية الريفية الشاملة من خلال إيجاد فرص عمل لزيادة الدخل الأسري لأهالي المنطقة.

هذه هي مادبا، أرض الماء والفاكهة في اللغة الآرامية القديمة، إنها سادنة التراث وحارسة الحلم، قطعة مدهشة من الفسيفساء الاجتماعي حيث التعايش الديني الأمثل، وتظل المكان الذي يوشوش حكاياته للعابرين، أمجاده العتيقة، وينقش حجر ميشع الذي يلخص حكمة الكفاح من أجل حياة أجمل.

## مصادر ومراجع المادة البحثية:

- 1- الدكتور عبد المجيد الشناق، "المدخل إلى تاريخ الأردن وحضارته"
- 2- سليمان الموسى، "الحركة العربية المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة" (1908-1942) دار النهار بيروت 1977
- 3- أحمد عويدي العبادي "في ربوع الأردن جولات ومشاهدات، وكتاب الأردن في كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين"
- 4- أحمد عويدي العبادي، كتاب "تاريخ الأردن وعشائره"
- 5- "رحلاتي في سوريا والأرض المقدسة" الرحالة السويسري / الإنجليزي يوهان بوركهارت.
- 6- الخطيب محمد- "حضارة العرب في العصور القديمة"، الطبعة الأولى دار طلاس دمشق
- 7- حسين يوسف، "دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين" - دار الفكر- عمان
- 8- عن الأردن الموقع الرسمي للحكومة الإلكترونية الأردنية
- 9- "نبذة عن الأردن" الهيئة الملكية للأفلام.
- 10- "الرعاية الصحية والخدمات الطبية" مؤسسة تشجيع الاستثمار

11- "عهد جلاله الملك عبد الله الثاني ابن الحسين المعظم مسيره خير وعطاء" دائرة الإحصاءات العامة.

12- البرنامج التنموي لمحافظة المملكة/ صادر عن وزارة التخطيط والتعاون الدولي.

## الفهرس

7	سلامُ الغيم
27	أيقونة الصحراء
41	ابنة حوران
61	البلقاء.. أصل الحكاية
71	بوابة النصر
91	( الفدين ) نكتب التاريخ
111	منجمُ العالم القديم
131	الفردوس وعبقرية الإنسان !!
151	ساذنة الفسيفساء !!
161	مصادر ومراجع المادة البحثية :



## معدد بركات البغيت

روائي وقاص

عضو رابطة الكتاب الأردنيين

عضو الاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب

• صدر له:

1- رجل في الظل / قصص / 2002

2- النافذة الحدباء / قصص / 2007

3- الحرفون / رواية / 2008

4- بندورة الحية / رواية / 2010

5- خشم العقاب / نصوص مكان / 2010

6- حوافر مسافرة / قصص / 2012

7- نبوءة الملح / قصص / 2013

• معد وكاتب نصوص أفلام وثائقية وبرامج للتلفزيون،

منها:

1- برنامج يسعد صباحك

2- برنامج بانوراما 2009

3- فيلم ( بلبل الكمان) الفائز بالجائزة الفضية في القاهرة.

4- فيلم (أحلام جريحة) يتناول حياة اللاجئين السوريين في الأردن وذكرياتهم وأحلامهم.

5- فيلم (خطوات على الرمال) سيرة حياة الباحثة البرتغالية (أريغا) التي تعيش في صحراء رم.

6- فيلم (سر بين الوهاد).

7- فيلم (المرابطون) الفائز بالجائزة الفضية.

8- فيلم (البلقاء أصل الحكاية) الفائز بالجائزة الذهبية في مؤتمر الإعلاميين العرب.

• كتابة العديد من الأفلام الوثائقية للمركز الثقافي الملكي تتناول حياة رموز من الحركة الثقافية والفنية في الأردن، من مثل: يعقوب العودات، توفيق النمري، عبده موسى، حسني فريز...



